وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة - يحيى فارس - المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مدرسة الفن المعماري في الدولة العثمانية
(مدرسة سنان باشا أنموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الدولة

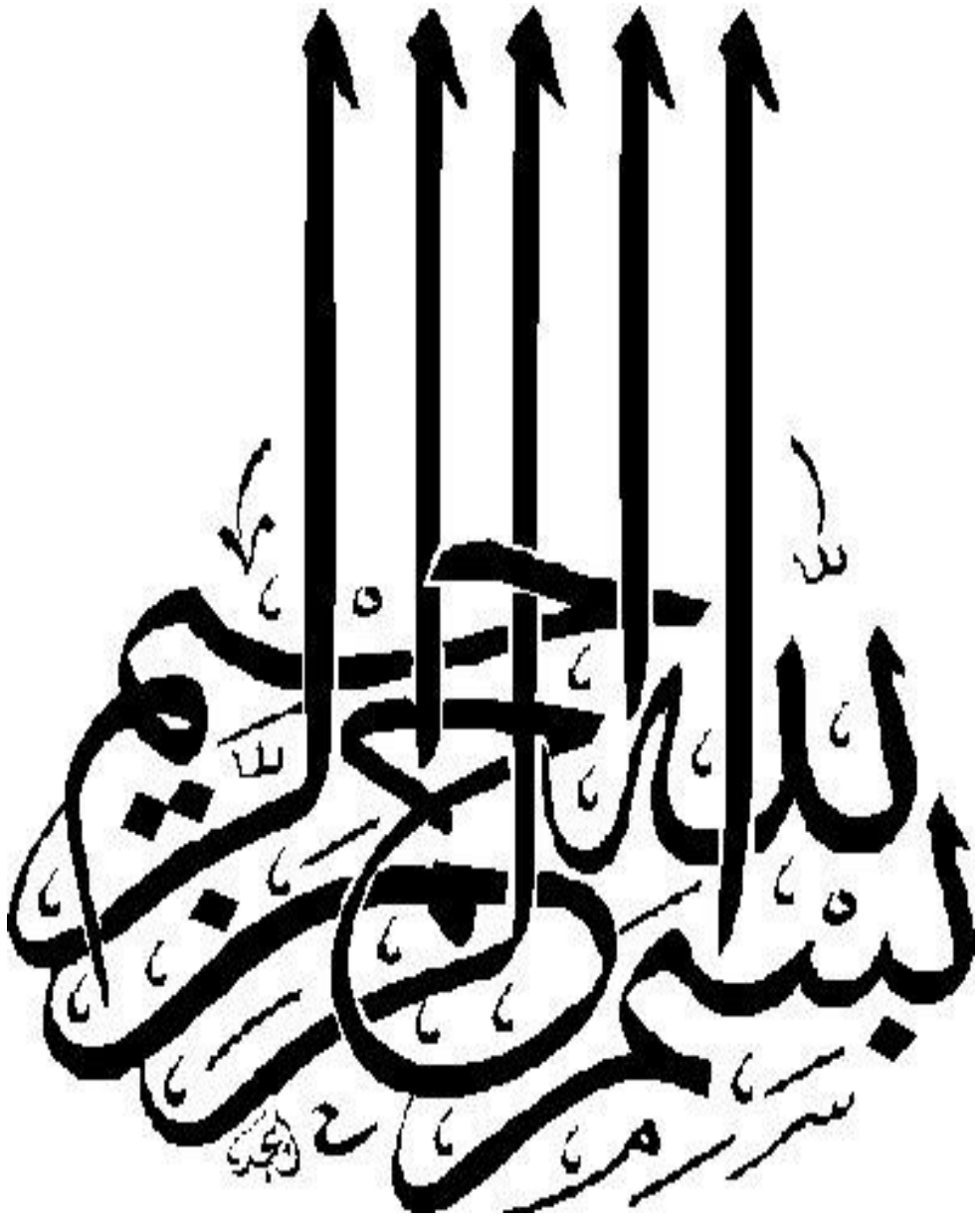
العثمانية 1453-1924م

إعداد الطالبتين:
-فاطمة الزهراء العزاوي
- سمية مشنتل

تحت إشراف:
د.سهيلة كردين

السنة الجامعية

1442/1441هـ - 2019 /2020م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـان

قال الله تعالى: {{ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد}} الآية 12 سورة لقمان.

الحمد لله حمدا كثيرا والشكر لله الذي تتم بنعمته الصالحات وتتنزل برحمته الطيبات، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد

نشكر الله عزوجل الذي أعاننا على انجاز هذا العمل سائلين منه القبول والسداد،ونتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة كردين سهيلة التي تفضلت بالإشراف على هذا العمل ولم تبخل علينا بتوجيهاتها وأرائها،كما نشكر أيضا جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية خاصة قسم التاريخ الذين درسنا على أيديهم طيلة مشوارنا الدراسي،كما نتفضل بالشكر إلى مكتبة المخبر للأستاذ الغالي و الذي لم يبخل علينا بالكتب،والى جميع الذين ساعدونا سواء من قريب أو من بعيد ولو حتى بابتسامة نسال الله إن يجعل لهم ذلك في ميزان حسناتهم.

إهـــــداء

إلى من لا يطيب الليل إلا بشكره ولا النهار إلا بطاعته ولا تطيب اللحظات إلا بذكره الله جلا جلاله،والى من ابلغ الرسالة و أدى الأمانة نبي الرحمة محمد عليه أزكى الصلاة والسلام.

إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من احمل اسمه بكل افتخار إلى "أبي الغالي" رحمة الله عليه داعية من الله أن يسكنه جنة من فساح جنانه،إلى نبع الحنان ونبع صبري و تحملي إلى من كان دعائها سر نجاحي "أمي الحبيبة".

إلى سندي في الحياة بعد أبي إلى عمي الغالي "بن يوسف"

إلى سندي وساعدي على السراء و الضراء إخوتي "حنان،جهيدة،نذير،كريم"

إلي صديقتي الغالية و زميلتي في العمل "مشنتل سمية"

إلى من جمعتني بهم الذكريات ولاقتني بهم الصدف واللحظات صديقاتي "عيدة، سعاد، أحلام، دليلة، سمية، هجيرة، سعاد، حميدة"

إلى كل من تسعهم ذاكرتي ولم تسعهم ورقتي.

فاطمة الزهراء

إهـــداء

بفضل الله تم انجاز هذه المذكرة والتي اهديها:

إلى من علمتني أن هنالك معنى للحياة وعلمتني الكفاح من اجل البقاء،وبالقلم تكون الهمة و الارتقاء "أمي الغالية"

والى من رباني على الخلق وبعث بي إلى شاطئ العلم والإيمان "أبي الحنون"

إلى من أهدتني إياهم أمي إخوتي "عليا، جميلة، ليندة"

إلى أخي الوحيد وأنيسي في حياتي حفظه الله "محمد عبد الرحمان"

إلى زميلتي التي تقاسمت معي العمل "فاطمة الزهراء"

و إلى كل من تسعهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

سميـــة

قائمة المختصرات

تع	تعريب
تر	ترجمة
ص ص	صفحة
ط	طبعة
مج	مجلد
ج	الجزء
د، د ،ن	دون دار نشر
د،س	دون سنة نشر
د،ط	دون طبعة
تق	تقديم
ع	العدد

المقدمة

المقدمة

شهدت الدولة العثمانية خلال القرن 16م عصرا تاريخيا ذهبيا أظهر عظمته على أرجائها الشاسعة، إذ يعد مرحلة هامة في تاريخ الدولة العثمانية خاصة من ناحية الفن المعماري، إذ بلغت منشآتها من الرقي والازدهار ما لم تبلغه أي حضارة أخرى.

فالعمارة باعتبارها ركيزة العمران فهي تعكس في سماتها وأشكالها الإنجازات التقنية والحضارية ، والتطلعات الجمالية والقدرات المادية للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محددة، فتاريخها يعبر عن حقب زمنية لكل منها طراز معين يميزها عن غيرها، وهذا ما تميزت به الدولة العثمانية .

وعلى الرغم من قيام العمارة العثمانية على أنقاض العمائر الإسلامية والسلجوقية والفارسية وكذلك البيزنطية والتأثر بطرازها، والذي كان في مرحلة مبكرة من مراحل بناء دولتهم، إلا أنهم استطاعوا أن يبتكروا لهم أساليب جديدة في العمارة لم تكن مألوفة لدى غيرهم، إذ توفرت لهم مستلزمات النجاح من خلال الاهتمام الكبير لسلاطين العثمانيين بالجانب المعماري وتسخير موارد الدولة لخدمة هذا الجانب.

وقد ظهرت في سماء الحضارة العثمانية منذ فتح اسطنبول 1453م أسماء معماريين كثيرين كان لهم الفضل في النهوض بالعمارة العثمانية، وقد كان أشهرهم خلال القرن 16م وهو المعماري سنان باشا الذي يعتبر من أعظم وأبرز الشخصيات التي كونتهم الثقافة الإسلامية العثمانية.

إذ تعتبر الأعمال المعمارية للمعماري سنان باشا صفحة ناصعة في تاريخ فن العمارة الإسلامية، حيث ساعد ظهوره على وصول العمارة العثمانية إلى درجة كبيرة من التطور والإبداع.

1/ دواعي اختيار الموضوع:

هناك عدة دوافع دفعتنا لاختيار هذا الموضوع و التي اختلفت بين ذاتية وأخرى موضوعية فأما عن **الأولى:**

-فقد غلبت علينا الرغبة في تفحص هذا الجانب الخاص بالعمارة العثمانية وتقديم دراسة جديدة تختلف عن سابقاتها.

-كما أردنا أن يكون هذا العمل إضافة تساهم في إثراء التاريخ العثماني وبفتح آفاق جديدة للبحث أكثر في هذا الجانب خاصة بعد التشجيع الذي تلقيناه من قبل بعض الأساتذة.

-كذلك سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو تغيب الدراسات الخاصة بالتاريخ العثماني على الجانب الحضاري وعدم التطرق إليه مهملة بذلك ناحية الفن المعماري.

أما عن الموضوعية تكمن في :

إعطاء فكرة شاملة عن العمارة العثمانية منذ قيام الدولة إلى غاية زوالها.

-التعرف على شخصية المعماري سنان باشا ودوره في تطور ورقي العمارة العثمانية خلال القرن 16م.

-محاولة تسليط الضوء على أهم الأعمال المعمارية التي قام بها المعماري سنان باشا.

2/ أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع العمارة العثمانية أهمية كبيرة في التاريخ العثماني خلال القرن 16م من خلال:

–تقديم دراسة توضح للباحثين والدارسين أن التاريخ العثماني لم يكن تاريخا عسكريا فحسب كما هو معروف في العديد من الكتابات بل هو تاريخ أبدع في مجال الفن والعمارة.

–كذلك تعتبر دراستنا هذه إضافة جديدة للدراسات الأكاديمية ويمكن اعتبارها بمثابة دليل سياحي يتعرف القارئ من خلاله على أهم المعالم المعمارية العثمانية وتاريخها و التي لا تزال موجودة لحد الساعة.

3/ الإشكالية:

بما أن العثمانيون قد حققوا أعلى مستوى من العمارة على أراضيهم بفضل حنكة السلاطين وإبداع المعماريين ولعل الفضل الأكبر للمعمار سنان الذي صنع الفارق من خلال مدرسته الفنية وابتكاراته الجديدة في مجال العمارة فعليه كانت إشكالية بحثنا كالتالي: إلى أي مدى بلغ إهتمام الدولة العثمانية بمجال الفن المعماري، وما مدى مساهمة المعماري سنان باشا ومدرسته الفنية في الوصول بالعمارة العثمانية إلى ذروة الإبداع والعبقرية؟.

4/ الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة لم تتوصل إلى أي دراسة تحمل نفس عنوان بحثنا أو جزء منه إلا أننا في حدود دراستنا وجدنا بعض المذكرات التي تناولت بعض الجوانب من موضوعنا منها:

– مذكرة المجتمع الاسطنبولي في القرن 10هـ / 16م،وهي مذكرة لنيل درجة الماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية 1453–1924م كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية للطالبتين موسوس سمية وسحاب نورة، والتي أفادتنا كثيرا في إعطاء نماذج عن العمارة العثمانية وإبراز بعض أنواعها.

–مذكرة البلاطات الخزفية في العمائر العثمانية بالوجه البحري دراسة أثرية فنية،وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة لخالد حرفي خميس، والتي أفادتنا في تحديد بعض الخصائص الجمالية للعمارة العثمانية.

5/ المنهج المتبع في الدراسة:

–لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي، فأما بالنسبة للوصفي لوجود منشات معمارية ومعالم تاريخية تحتاج إلى الوصف بشكل يسمح للقارئ بأخذ فكرة عليها، أما عن المنهج التحليلي من أجل تحليل الأحداث وربطها زمنيا لمعرفة الأسرار الخفية التي دفعت بالعمارة العثمانية إلى درجة كبيرة من الرقي والصدارة وكيف استطاعت أن تكون عمارة إسلامية ذاع صيتها في العديد من أرجاء العالم الإسلامي والغربي.

6/ الخطة المعتمدة في الدراسة:

وبعد جمع المادة التاريخية ارتأينا إلى وضع الخطة التالية،والمقسمة إلى مدخل وثلاث مباحث يندرج ضمن كل مبحث ثلاث مطالب، فأما المدخل فقد تحدثنا فيه عن تطور العمارة العثمانية بمفهومها العام، ومعرفة مراحلها الأولى وتطورها التدريجي منذ القرن 14م إلى القرن20م متتبعين بذلك التسلسل الزمني والمكاني.

أما المبحث الأول جاء تحت عنوان العمارة العثمانية تطرقنا في المطلب الأول منه إلى التعريف بالعمارة العثمانية بمفهومها الواسع، ورصد المؤثرات التي أدخلت عليها وتأثرت بها، وبالنسبة للمطلب الثاني تطرقنا فيه إلى أنواع العمارة العثمانية مع اخذ بعض الأمثلة والنماذج عنها، و أما المطلب الثالث ذكرنا فيه أهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها العمارة العثمانية عن سابقاتها. مركزين بذلك على أنواع الزخارف.

-أما المبحث الثاني الذي جاء بعنوان سنان باشا و مدرسته، فقد تناولنا في المطلب الأول لمحة شاملة عن حياة هذا المعماري ونشأته، والمطلب الثاني خصصناه لمدرسة سنان باشا الفنية حيث عرضنا فيها أهم المميزات والأفكار الجديدة التي جاء بها سنان، وبالنسبة للمطلب الثالث فقد تحدثنا فيه عن أوقاف سنان باشا وبعض من أعماله الخيرية إضافة إلى أهم أعماله بالبلاد العربية.

-والمبحث الثالث تطرقنا إلى أهم وأعظم المنشآت التي شيدها سنان باشا إذ تناولنا ثلاث نماذج في كل مطلب نموذج، بداية بمجمع شهزاده ثم السليمانية وأخيرا بمجمع السليمية، حيث قمنا بعرضها حسب ترتيبها الزمني.

-لنختم عملنا هذا بخاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا، مدعمين ذلك بعدة ملاحق تضمنت نماذج وصور تتعلق بموضوع دراستنا.

8/ عرض أهم المصادر والمراجع:

-إن الحديث عن المصادر في هذه الدراسة يجلب بعض الإحراج والتأسف وذلك لأنه لم يعطى للموضوع حقه في البحث، لان المؤرخين مروا مرور الكرام في التحدث عليه، إلا أننا في حدود دراستنا وجدنا مصدرين تحدثا عن جوانب من موضوعنا.

* المصدر الأول لرحالة أوليا جلبي في كتاب " سياحتنامه" والذي أفادنا في معرفة ووصف العمائر التي شيدت بالبلاد العربية على الطراز العثماني خاصة في مصر، أما المصدر الثاني فهو أيضا للرحالة عبد الرحمان الخياري في كتابه " تحفة الأدباء وسلوة الغرباء" الذي أفادنا أيضا في وصف النقوش والزخارف العثمانية الموجودة بالعمائر المصرية.

* وإلى جانب هذه المصادر كانت بعض المراجع قد أفادتنا كثيرا في دراستنا نذكر منها: " كتاب العثمانيون رجالهم العظماء ومؤسساتهم الشامخة لعثمان نوري طوباش" الذي أفادنا في

تقديم لمحة عن المعمار سنان إضافة إلى مساعدتنا في معرفة أهم الأعمال الكبيرة التي قام بها سنان كما ذكر لنا بعض النماذج والأمثال التي قيلت عن أعمال سنان العظيمة.

*كذلك نجد كتاب " العثمانيون في التاريخ والحضارة للمؤلف محمد حرب" الذي استفدنا منه كذلك في معرفة تراث المعمار سنان وانجازاته التي لم تنحصر في الإمبراطورية العثمانية فقط بل في البلاد العربية وقد لنا أرقام إحصائية عن ذلك.

*كذلك نجد كتاب " اسطنبول عبق التاريخ وروعة الحضارة للدكتور الصفصافي أحمد المرسى" الذي أفادنا بشكل كبير في معرفة أنواع العمارة العثمانية بشكل واضح كذلك ساعدنا في حصر أهم الخصائص التي تميزت بها العمارة.

4/صعوبات الدراسة:

لقد واجهتنا العديد من العراقيل والصعوبات أثناء انجازنا لبحثنا لعل أبرزها:

-قلة المادة العلمية الملمة بموضوعنا،وإذا وجدت كانت قليلة المعلومات التي تساعدنا في خدمة دراستنا خاصة المصادر.

-صعوبة الوصول إلى هذه المصادر خاصة في هذه الظروف الراهنة التي فرضها وباء كورونا.

-جميع الكتب التي تكلمت عن سنان كانت باللغة التركية.

المدخل: تاريخ العمارة العثمانية منذ القرن 14م إلى القرن 20م

أولا: العهد المبكر (1350م _ 1450م)

ثانيا:فترة الارتقاء والتقدم (1450م _ 1550م)

ثالثا: العهد التقليدي الأول (1550م _ 1650م)

رابعا: العهد التقليدي الثاني (1650م _ 1750م)

خامسا: دور التجريب (1750م _ 1850م)

سادسا: العهد الأخير (1850م _ 1923م)

العمارة هي وعاء الحضارة،[1] وهي تمثل بالخلاصة الهوية الثقافية والمستوى الإبداعي والجمالي للإنسان، وهذا ما برع فيه العثمانيين حيث استخدمت الفنون والعمارة عند العثمانيين أشكالا وتعابير جرى تطويرها من جديد مع الأساليب والأفكار الموجودة ، كما خضعت لتأثيرات الخارجية والتي أضافتها إلى طابعها الحضاري، وقد كشفت الفنون الجميلة التي تطورت من خلال التوفيق بين العناصر المتمسكة بالتقاليد والعناصر التجديدية القادمة من الخارج عن أساليب خاصة انفردت بها في كافة عهود التاريخ العثماني.[2]

وقد أصبح العثمانيون ورثة لأعراف وتقاليد ثقافية لإمبراطوريات سبقتهم، حيث تأثروا بالتيموريين وسلاجقة الأناضول وآسيا الغربية و بالأتابكة والمماليك في مصر والشام و بالبيزنطيين و بالدول المسيحية في البلقان والبحر الأبيض المتوسط.

ويعود سبب المميزات البارزة في الفنون والعمارة العثمانية إلى العناصر التي تكون منها المجتمع العثماني، إذ تنوعت ما بين إسلامية وتركية وأوروبية التي تحتويها من جانب[3]،وإلى وجود الحركات الفنية التي تكفلت الدولة العثمانية برعايتها من الجانب الآخر.وكل هذا أضاف للعمارة العثمانية جوانب إبداعية أكسبت طابعا خاصا للعمارة الإسلامية لا سيما عمارة المساجد.[4]

وقد أعطت الحضارة العثمانية الصدارة للعمارة، وهي عمارة تستند على المعارف التقنية الضرورية، وتتميز بحسن تنظيم المكان وتوازن الكتل وتملك قيمتها الخاصة، كما اعتبرت حضارة العثمانيين حضارة مدينية من حيث الجوهر، فبوجه عام كانت العمارة لاتمس

[1]-شيماء حسين عطا الله، السقاطات، **"مجلة أودوكا"**، العدد الأول،جامعة الكوفة(كلية الآثار)، العراق، 2017م، ص372.

[2]- أكمل الدين إحسان أغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ج3، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م، ص693.

[3]- نفسه، ص694.

[4]- نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، المعمار العثماني سنان (1489- 1588م)، **"مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية"**، ع2،الموصل، 2010م، ص 233.

القرى التي تجمع غالبية السكان،وهذا لا ينفي أنه كان هناك فن للعمارة الريفية والمتمثلة في الخانات للمسافرين والجسور والقلاع والمقابر، وهذه الأخيرة كانت أحيانا ركامات بسيطة من الحجارة.[1]

وعند النظر من مسافة بعيدة إلى إحدى المدن يمكن تمييز الآثار المعمارية العثمانية فورا لكونه أسلوب معماري يمتاز بصفاته المميزة وطابعه الخاص.[2]

حيث مرت العمارة العثمانية في نشوءها وتطورها عبر عهود مختلفة، وأن كل عهد تركز حول آراء وروايات مختلفة، إلا أن الواضح أنه كانت هناك استمرارية في الأنشطة الفنية عاشت ستة قرون.[3]

أولا:العهد المبكر (1350م_ 1450م)

أخذت العمارة العثمانية في أقصى أطراف العالم الإسلامي وانتشارها نحو الغرب وأواسط أوروبا في العهد المبكر من تقاليد غرب الأناضول وشرق المتوسط التي وجدت نفسها معها وجها لوجه وتأثرت بها، فالخصائص البارزة في أشكال عمائرها وتخطيطها وزيناتها إنما تدلنا على انحراف كبير عن العمارة السلجوقية وعن التقاليد الإسلامية في غرب أسيا.[4]

فهي تختلف في طراز التعبير المعماري لدى السلاجقة من خلال جبهات باب المدخل،إذا وضعت التفاصيل بشكل متساو على كافة الجبهات في العمائر العثمانية بينما

[1]- روبرمانتران، تاريخ الدولة العثمانية،تر: بشير السباعي،ج2،ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص ص352.353.
[2]- يلمازأوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود لسمان،م2، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990م، ص538.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص ص 694-995.
[4]- نفسه، ص 695.

جرى التركيز قليلا على جبهة المدخل، وبهذا استطاع المهندس في عمائر هذا العهد أن يضمن ظهورها في كتلة واحدة. وأثناء فتح مدينة بورصة التي أصبحت عاصمة العثمانيين في آسيا وتجلى فيها الفن المعماري العثماني الذي بلغ الأوج في بناء الجامع الكبير "أولو جامع" في عهد السلطان بيازيد الأول عام 1400م وهو أحسن النماذج على العمائر الضخمة.[1] حيث لم يوجد مخطط لجامع آخر على نفس النمط بعده على غرار جامع (أسكي جامع) ذي القباب التسع الذي أقيم في أدرنة 1414م.[2]

ومن أنماط البناء التي كانت الأكثر جدة وبساطة في الاستخدام خلال هذا العهد هو مخطط حرف (آ) المقلوب ذو المساحة المستطيلة ذات القسمين اللذين يمتدان من المدخل حتى جدار القبلة ،وهذا النمط المعماري الأكثر ملائمة لأساليب الاستخدام المختلفة قد جرى استخدامه للجوامع والمدارس،بالإضافة إلى وجود الموقد والكوات في بعض الغرف الصغيرة الذي يدل على أن تلك المباني استخدمت أيضا للزوايا والتكايا ودور الضيافة، ومثال على ذلك المبنى الذي أقامه السلطان مراد الأول في إزنيق عام 1388م لأجل والدته (فيلو فرخاتون) وعرف باسم < الزاوية > وتم التخلي على هذا النمط من البناء فيما بعد، حيث جرى العمل على مخططات أخرى لأغراض متعددة . لأن ذلك النمط كان يعكس نظام الإمارة العثمانية الصغيرة و يلبي حاجات مجتمعها خلال هذا العهد.[3]

ولاشك أن أعظم المباني التي أقيمت على ذلك المخطط هو " الجامع الأخضر " الذي شيده المعماري حاجي إيواز باسم السلطان محمد الأول في بورصة بين عامين 1419م _ 1424م، ويعد نموذجا فريدا في ثراء زيناته وحلياته. ويكشف لنا في العمارة

[1]- محمود السيد الدغيم، العمارة الإسلامية العثمانية في الدور الأول المسمى دور بورصة، **"جريدة الحياة اليومي"**، العدد 16234، السبت 15 سبتمبر 2007م، ص21.
[2]- أغلي، المرجع السابق، ص695.
[3]- نفسه، ص696.

العثمانية عن نفسه من خلال اتساق المقاسات والفهم المتناظر فيها بين الأسطح والسادة والمزينة.[1]

وبعد عبور العثمانيين لمضيق الدردنيل وجعلهم أدرنة عاصمة لهم حيث لم يعودوا أصحاب إمارة صغيرة ،وكشفوا عن ذلك بوضوح في عمائرهم التي ظهرت عليها إمارات العظمة ووحدة المكان.[2] حيث عرف لأول مرة في هذا المكان الجامع ذي الفناء والرواق مثل < أوج شرف لي > أي ذي الشرفات الثلاث الذي أقامه السلطان مراد الثاني 1448م، والذي يمكن اعتباره نتيجة تركيب يجمع بين تخطيطين، هما تخطيط المسجد ذي القبة الواحدة والمسجد المتعدد القباب. وهذا التخطيط المعتمد على تعدد القباب والذي يتمثل عيبه في الإبقاء على دعامات مزعجة لن يتلاشى بعد فتح القسطنطينية رغم اعتماد حلول أكثر ابتكار وجسارة بالتأكيد مثل: < مسجد زنجرليكويو> أواخر القرن 15م والذي وجد في تطبيقات عديدة في عمائر أخرى وفي بعض الحمامات (كيزلار أغاسى حمامي)، وفي عدة مستشفيات (مارستان مسجد بايزيد في اسطنبول).[3]

ولا شك أن العمارة العثمانية وأساليب تزيينها إنما تكشف عن تجارب التشكيل التي أختيرت وجرى التفكير فيها وصياغتها، هي التجارب التي خلقت الاتجاهات والتيارات التي ساعدت على ظهور الفنون في الدولة العثمانية، وكانت العمارة هي مجال الإنتاج الأكثر تجددا والذي يمثل مجتمعها ونظاما مجتمعيا جديدين سوف ينهضان في الأعوام التالية.[4]

ثانيا:فترة الارتقاء والتقدم (1450_ 1550م):

مع فتح اسطنبول وإقامة سراي طوب قابي فقد تحولت الدولة العثمانية إلى إمبراطورية متكاملة الأركان، وقد بنى هذا القصر السلطان محمد الفاتح عام 1468م، حيث يمثل

[1]- أغلي،المرجع السابق ، ص696.
[2]- نفسه ، 698.
[3]-مانتران، المرجع السابق، ص ص 368. 369.
[4]- أغلي، المرجع السابق، ص 700.

مجموعة معمارية لا مثيل لها، تلبي الاحتياجات الرسمية والخاصة على السواء، وتبرز ماضي العمارة المدنية العثمانية على مدى أربعمائة سنة تقريبا، وتميز باستخدام عدة فنون كالنقش والخزف والأقمشة والمفروشات.[1]

ومن المستحيل إنكار أن كنيسة أيا صوفيا الضخمة والشهيرة قد مارست تأثيرا، حتى وإن كان قد جاء متأخرا نسبيا، والتي سوف تخضع لدراسة عميقة من طرف المعماري سنان باشا. لأنها ليس لها مثيل من حيث الاتساع والجمال، خاصة من ناحية القبة التي انكب العثمانيون على دراستها منذ أكثر من قرون، وهذا من أجل بناء أثر مساو لها أو حتى التفوق عليها.[2]

لأن الدولة العثمانية خلال تلك الحقبة رسخت وجودها في ثلاث قارات، وشرعت في صنع توافق بين التقاليد الإسلامية والتركية والأوروبية لصياغة أسلوب إمبراطوري تختص به الفنون الجميلة. وفي هذه الفترة كان المعماري سنان باشا يقف بين تلك العمائر، حيث تخطاها، بل ونجح في تشييد عمائر تفوقها واستحق بذلك لقب " المعمار الكبير " (قوجة معمار)،مثل المجمع المعماري في اسطنبول الذي أقامه السلطان محمد الثاني عام 1470م والذي كان يتكون من عدة مبان مختلفة يتوسطها الجامع لتلبية احتياجات متعددة في المجتمع.[3]

ويعتبر مسجد بايزيد الثاني في اسطنبول، والذي أنجز عام 1505م أول أثر يمكن رصد تأثير أيا صوفيا فيه بوضوح، وهو المسجد الذي ساعد على تدعيم الفكرة التي تتحدث عن انتحال العثمانيين لجانب من الكنيسة الجوستينيانية.[4]

[1]- أغلي،المرجع السابق ، ص706.
[2]- مانتران، المرجع السابق، ص377.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص703.
[4]- مانتران، المرجع السابق، ص 379.

بالإضافة إلى جامع شهزاده وكليته اللذان بناهما سنان بين عامي 1544م و 1548م بأمر من السلطان سليمان القانوني، باسم ابنه شهزاده (: الأمير) محمد.[1]

وكان سليمان الأول من أكبر حماة الفنون في عصره والعصور التالية. فكان عهده هو العهد الذي توفرت فيه كافة العوامل الثقافية والاقتصادية اللازمة لنهضة الفنون، فرأينا كبار المهندسين من أمثال سنان وقره حصاري وغيرهم. بالإضافة إلى ازدهار الخطوط وتنوعها خلال هذه الفترة مثل الخطاط أحمد القره حصاري حيث كتب الخطوط الجلية البديعية التي تزين جدران العمائر الدينية، وكذلك تطوير أساليب الزخرفة الخاصة بالفنون العثمانية التي لازالت أثارها حية نابضة حتى اليوم، مثل أسلوب زخرفة (الساز) أي الغاب وهو بمعنى الغابة المسحورة باللغة التركية القديمة الذي عرف به الشاه قولي، وكذلك صناعة السيراميك حيث تطورت تصميما ولونا.[2]

ثالثا:العهد التقليدي الأول (1550م _ 1650م):

لقد أقيمت العمائر الأثرية الضخمة في العهد الكلاسيكي للثقافة العثمانية التي تبرز قدوة وعظمة مبانيها، مثل جامع السليمانية وهو من أشهر الأعمال المعمارية في عهد السلطان سليمان القانوني بل وفي التاريخ العثماني كله، ويمثل أكثر مراحل المعمار العثماني تطورا. بناه سنان في اسطنبول عام 1557م. والجامع بكليته من مدارس ومستشفى وغيرها يعد ثاني كلية تبنى في استانبول بعد الكلية التي بناها السلطان محمد الفاتح لجامعه.[3]

[1]- محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي، القاهرة، 1994م، ص161.
[2]- أغلي، المرجع السابق، ص ص 709، 712.
[3]- حرب، المرجع السابق، ص163.

بالإضافة إلى جامع السليمية بأدرنة وهو من أعظم ما بنى سنان، وقد بناه بأمر من السلطان سليم الثاني سنة 1574م، حيث بلغت الذروة المعمارية في عهده، لأنه بنى أول جامع إسلامي عثماني يتجاوز ارتفاع قبة أيا صوفيا. ويتجاوز قطر قبته قطر قبتها.[1]

ويستطيع الناظر أن يشهد ذلك البناء من كافة أطراف المدينة، ويأخذ المنظر بألبابه كلما اقترب منها أكثر، وتميز بانسجام الخطوط والزخارف.[2] وقد وصف أرنست دييز العالم المشهور في تاريخ العمارة هذا الجامع بقوله << إن مزايا تأثير المكان والحجم والارتفاع والتجمع والضوء، يجعل من جامع السليمية في أدرنة أروع الآثار المعمارية في العالم أجمع>>.[3]

وقد استمرت العمارة العثمانية على عظمتها بعد المعمار سنان، ويشهد ذلك في جامع السلطان أحمد في اسطنبول الذي عرف باسم " الجامع الأزرق "، ولا شك أن المجمعات والمنشئات المعمارية الأخرى التي شيدت لأجل السلاطين وأفراد العائلة المالكة والصدور العظام هي أبلغ الأمور دلالة على مدى النجاح الذي تحقق في هذا العهد في مجال الفن المعماري.[4]

رابعا:العهد التقليدي الثاني (1650_ 1750م):

استمر تأثير العمارة الكلاسيكية قائما حتى أواسط القرن 17م، وظهر ذلك في الجامع الجديد(يكي جامع) باسمه الآخر جامع السلطانة الوالدة (والدة سلطان جامعي)، وهو يقع على شاطئ القرن الذهبي في منطقة (أمين أوكي)، وهو من حيث الحجم والموقع أعظم الجوامع أقامتها أمهات السلاطين. حيث شهدت خلال القرن 17م إقامتين للمجمعات المعمارية الضخمة التي تتكون من عدة أبنية ذات أغراض تعليمية تجارية تلتف حول الجامع

[1]- الدغيم،المرجع السابق ، ص21.
[2]- أغلي، المرجع السابق، ص 814.
[3]- حرب، المرجع السابق، ص165.
[4]- أغلي، المرجع السابق، ص721.

الكبير وكان داود آغا خليفة المعمار سنان هو أول من قام بتشييد البناء وتزيينه بأنواع عديدة من الخزف والزخارف.[1]

ولقد تراجعت الأعمال التي أنتجت في النصف الثاني من القرن 17م من حيث الجودة والأصالة وذلك راجع لقلة الاهتمام بالفن والفنانين. عكس مكان عليه الأمر في القرن 16م وبداية القرن 17م، مثل تناقص عدد أفران الخزف والفخار في إزنيق ورأينا أن الأعمال المبهرة للأسطوات المبدعين في العهود السابقة تركت صناعتها إلى صناع وحرفيين من العامة.[2]

لكنها لم تلبث أن عادت الفنون بشكل إعجازي إلى الانتعاش حتى أيام السلطان أحمد الثالث، وقد أطلق على هذه الفترة " بعهد الخزامة " من طرف المؤرخ أحمد رفيق، وذلك نسبة إلى الزهرة الرقيقة القصيرة العمر التي شاعت زراعتها في السراي وعرفت على النطاق الشعبي بشكل واسع[3]، وعرف هذا العهد نوع من الاستقرار من خلال عقد عدة معاهدات صلح وإقامة سفارات في كل من فيينا وباريس الذي أدى بدورة إلى تعاطي الأساليب الفنية، وكنتيجة لذلك تحولت الطرز التركية في أوربا إلى موضة.

بالإضافة إلى ظهور موضوعات وأساليب معمارية وأوروبية جديدة أدخلها العثمانيين ودمجوها مع النمط العثماني ومن هذه الأنماط: الباروكية، الروكوكو[4]، إلى تراث التزيين والزخرفة والأساليب العثمانية، واقامت القصور الساحلية على امتداد شواطئ البسفور والقرن الذهبي تقليد للجواسق الترفيهية في فرنسا والنمسا مثل قصر (آنية لي قواق) على القرن

[1]- أغلي،المرجع السابق ، ص722.
[2]- نفسه ، 723.
[3]-نفسه، ص 724.
[4]- سامي عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 2014م، ص774.

الذهبي، بالإضافة إلى إقامة عدد من الأسبلة المائية البديعة التي زينت ميادين العاصمة المختلفة، منها سبيل أحمد الثالث الذي أقيم عام 1728م أمام مدخل سراي طوب قابي[1].

بالإضافة إلى امتزاج الزخرفة العثمانية مع الزخرفة الأوروبية، والذي نتج عنها بعث زخرفة كلاسيكية عثمانية بروح جديدة، وكذلك عودة أسلوب الساز الذي هو من أبرز أساليب الزخرفة في السراي على أيام سليمان الأول: وأما على الإطار فقد رسمت الزهور التي تكشف عن ذوق العصر وأسلوبه. وكذلك تطور وانتعاش إنتاج السيراميك من خلال إقامة مركز إنتاج جديد في << سراي تكفور>>.[2]

حيث وجدت لوحة خزفية تصور مكة المكرمة طبق عليها الاتجاه المنظوري الأوروبي في الرسم، كما استخدموا الخزف المصنوع في سراي تكفور في ترميم وإصلاح العديد من الأماكن في سراي طوب قابي، وبالإضافة إلى ظهور الرسومات النباتية. وقد بدأت تظهر خلال هذا العهد آثار العمارة الأوروبية على الفنون العثمانية بينما بدأ يظهر تأثير أساليب التزيين وأفكارها بشكل جلي في الأعوام التالية.[3]

خامسا: دور التجريب (1750م- 1850م):

يعد "جامع نور عثمانية" الجامع الأول الذي عكس آثار العمارة الأوروبية، الذي بدأ العمل في تشييده على أيام السلطان محمود الأول عام 1748م، واكتمل في عهد السلطان عثمان الثالث عام 1755م، وهو المثال الوحيد ذو الفناء النصف دائري الذي يشبه عمائر أوروبا من خلال تصميم نوافذه إذ جاءت على شكل مستدير ذي إطار أو على شكل نبات

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص 725.
[2]-أغلي،المرجع السابق، ص 726.
[3]- نفسه، ص 727.

النقل ذي الثلاث ورقات. وعلى الرغم من وجود بعض السمات الأجنبية إلا أن الجامع يحافظ في الأساس على هويته العثمانية ويحتوي العديد من العناصر الجديدة.[1]

وقد عرف تغيير في طريقة تزيين العمارة العثمانية حيث كثر استخدام الرسوم الجدارية التي استخدمت فيها بشكل مناسب مفاهيم مثل التظليل والتجسيد، وكان هذا نتيجة التأثير القوي من طرف الفن الأوروبي، خاصة في العمائر الدينية والمدنية بدلا من الخزف، فقد وضعت رسوما لمناظر مختلفة على الجواسق والقصور والجوامع، كما علقت اللوحات ذات الأطر على الجدران، وكان هذا مجاراة لما شاع في أوروبا من أصول الديكور الداخلي.[2]

لكن الزخرفة في أواسط القرن 18م أصبحت تبدو باروكية بشكل ساخر أصبحت بطابع باروكي إسلامي، ومثال على ذلك وكان أقل توفيقا في تبني هذا الفن هو مسجد <<لاله لي >> في اسطنبول الذي شيده المهندس المعماري طاهر آغا (1759-1763م).[3]

وكان للتفاعل الثقافي المتزايد بين أوربا والدول العثمانية بفضل الرسامين والخبراء الأوروبيين المدعوين للعاصمة والفنانين الوافدين إلى أوربا الذي هيأ لإقامة جسور الترابط بين الفنون، فالرسوم التي يحتويها كتاب (خوبان خاصة وزخان عامة) إنما هي نموذج مميز يوجد بين صور لأشخاص متفردة ومناظر فائقة الجمال التي نشهدها في الصور والزينات المعمارية.[4]

وقد اجتهد أرباب الفنون خلال هذا العهد في تجربة أشكال وتقنيات جديدة، والتوفيق بين عناصر التراث الأصلية والعناصر المأخوذة من الخارج، بغية تلبية احتياجات مجتمع

[1]- أغلي،المرجع السابق ، ص 728.
[2]- نفسه ، ص 729.
[3]- مانتران، المرجع السابق، ص 390.
[4]- أغلي، المرجع السابق، ص729.

يتطلع لتغيير أساليب معيشته والاتجاه نحو الأساليب الغربية، حتى كشفت كل أفرع الفنون خاصة فن العمارة عن تحول في الشخصية العثمانية من سمات أسيوية إلى السمات الأوربية.[1]

سادسا: العهد الأخير (1850م- 1923م):

عرفت الدولة العثمانية خلال هذا العهد تولي الحكم من طرف سلطانان من رعاة الفنون عملا بشجاعة على دعم الفنون الجميلة، وسعى كلاهما لدفع المجتمع العثماني وثقافته إلى المستوى الذي يصارع الأوربيين، ألا وهما السلطان عبد المجيد، حيث قام ببناء قصر فاخر عرف باسم << دولما باهتشة>> ليكون مقر حكمه الجديد. بدأ البناء سنة 1843م، وانتهى منه سنة 1856م، حيث استعمل فيه فنون البناء الغربي الشائع في ذلك العصر من خلال تعاقد السلطان مع فنانين ورسامين من إيطاليا وفرنسا لإتمام العمل: وتم تزيينه بتحف من مختلف بقاع الدنيا، وبالإضافة إلى اللوحات والمنحوتات الإيطالية والفرنسية، وكذلك أستعمل عشرات الأطنان من الذهب لتزيينه. والتي أعتبرت هذه المرحلة مرحلة الانفتاح الشبه كامل على الغرب، وقد حضي باهتمام العديد من العالم بسبب موقعه.[2]

وأما عن السلطان عبد المجيد الثاني فقد قام بإنشاء العديد من المدارس المتوسطة والعليا والمعاهد الفنية، ومن بين هذه المدارس المدرسة السلطانية للشؤون المالية سنة 1878م، وكذلك مدرسة الفنون الجميلة. وظهور رعاية الفنون مع السلطان عبد المجيد هي الأرضية التي مهدت وهيأت للمناخ الفني في عهد الجمهورية.[3]

وكانت العمارة في تلك السنوات تشبه نظيرتها في دول أوروبا المختلفة من حيث الشكل والأسلوب، فهناك القصور والفيلات ومحلات العمل وعمارات السكن. وأشهر مثال

[1]- أغلي، المرجع السابق ، ص 730.
[2]- المغلوث، المرجع السابق، ص 588.
[3]- محمد سهيل طقوس، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013م، ص522.

على ذلك هو" جوسق مجيدية " الذي أقام السلطان عبد المجيد على الطراز الأوروبي في الفناء الرابع داخل سراي طوب قابي.[1]

وقد تحقق الانتقال من الإمبراطورية إلى الجمهورية في العمارة العثمانية على يد مهندسين معماريين، أحدهما هو وداد بك الذي درس في باريس(1873_ 1942م)، والثاني هو كمال الدين (1870 _ 1927م) الذي درس في برلين، وقد استخدم هذان المهندسان في عمائرهما الأساليب المتبعة في الحواضر الأوروبية مع مزجها بالعناصر المنتقاة في العمائر الكلاسيكية، وأبدعا في العمارة مدرسة جديدة عرفت باسم " النيو كلاسيكية العثمانية "، ومن تلك الأمثلة " مبنى الشهر العقاري والمساحة " الذي بناه وداد بك في اسطنبول 1908م.[2]

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص731.
[2]- نفسه، ص736.

المبحث الأول: العمارة العثمانية

المطلب الأول: تعريف العمارة العثمانية

المطلب الثاني: أنواعها

المطلب الثالث: خصائصها ومميزاتها

1/تعريف العمارة العثمانية:

لكي تحقق أي دولة مكانة في التاريخ، والتي لا يمكن تحقيقها من خلال الاعتماد على الانتصارات العسكرية فحسب، لأن ذلك محكوم عليه بالعلو والازدهار المؤقت من خلال الاعتماد على الشخصيات الذكية أو الفرص الجيدة فقط بل يجب التوفيق بين وسائل القوة والعلم والفن المعماري معا.

فالعثمانيين قد عرفوا تلك الحقيقة وساروا في ذلك الطريق من أجل تحقيق كل الحملات المدنية، إلى جانب ذكائهم السياسي والعسكري.[1]وغير ذلك طول عمر دولتهم التي دامت ستة قرون، ولا يطول عمر الدول إلا بحضارة وعدل. وحضارة العثمانيين هي ذروة تطور الحضارة الإسلامية.[2]

ولاشك أن أكبر مظهر لهذا التكامل الحضاري كان ظاهرا في المجال المعماري، فقد أثبت العثمانيون أنهم الورثة الحقيقيون لكل النشاطات المدنية الحضارية الكبيرة، وأخذوا عن السلاجقة والبزنطيين كل الأساليب المعمارية التي كانت مشهورة في ذلك الوقت، وطوروها بأسلوبهم وطرازهم الخاص، بل ونجحوا في تطويرها في أكمل وأجمل شكل.[3]

فالعمارة العثمانية عمارة إمبراطورية، حيث شملت ثلاث قارات " أوروبا، آسيا، إفريقيا"[4]، فعليه أخذت العمارة العثمانية في أقصى أطراف العالم الإسلامي وانتشارها نحو الغرب وأواسط أوروبا من تقاليد غرب الأناضول وشرق المتوسط التي وجدت نفسها معها

[1]-عثمان نوري طوباش، العثمانيون رجالهم الحكام ومؤسساتهم الشامخة، تر: محمد حرب، مر وتص: محمد أوقوش، دار الأرقم، استانبول، 1473ه/ 2016م، ص 407.
[2]- حرب، المرجع السابق، ص 158.
[3]- نفسه، ص 158.
[4]-إيلبرأورتايلي، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، مروتح: التعريب والترجمة، ط2، الدار العربية للعلوم ناشرون، دب، 2014م،ص 51.

وجها لوجه وتأثرت بها، فالخصائص البارزة في أشكال عمائرها وتخطيطها وزيناتها إنما تدلنا على انحراف كبير عن العمارة السلجوقية، ومن التقاليد الإسلامية في غرب آسيا.[1]

تأثر الخط العثماني العمراني بالأنماط الفارسية والبيزنطية والإسلامية في بداية عهده، فجاء نوع جديد نتيجة المزج بينهما، فعلى سبيل المثال اقتبس العثمانيون القبة الفارسية من الفرس الساسانيون، وأدخلوا عليها بعض التعديلات حتى أصبحت سمة بارزة في معظم أثارهم المعمارية.[2]

ازدهرت العمارة العثمانية في عهد التوسع والفتوحات، ثم أصبح النشاط المعماري أنماط معمارية من أوروبا الغربية ودمجوها مع النمط العثماني، ومن هذه الأنماط: الباروكية، الركوكو[3]، والنمط الإمبراطوري.

بدأ التطلع نحو الطراز الباروكي لدى العثمانيين، على يد المعماري سنان والذي استخدمه باستحياء في مسجد مهرماه سلطان[4]، عقد أدرنة قابي[5]، باب أدرنة، قد تحول في جامع <<نور عثمانية >> الذي أسس في جو مفعم بالرشاقة والزخرفة، بأمر من السلطان محمود الأول[6] عام 1748م، إلى شبه الاستجابة كاملة للأساليب المستحدثة في مجال الزخرفة والتخطيط العمراني.

---

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص695.

[2]- نجم الدين بيرقدار، العثمانيون حضارة وقانون، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2014م، ص169.

[3]- المغلوث، المرجع السابق، ص 774.

[4]- أحمد المرسى الصفصافي، استانبول عبق التاريخ " روعة الحضارة "، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1419ه/ 1999م، ص113.

[5]- قابي: الباب، البوابة، وفي الاصطلاح أطلق هذا اللفظ في العهد العثماني للدلالة على الباب السلطاني، أو الوجود السلطاني أو إشارة إلى البلاط، للمزيد أنظر: حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م، ص166.

[6]- محمود الأول : ابن السلطان مصطفى الثاني ولد سنة 1696م وتوفي سنة 1754م، اهتم بصناعة المدافع والبارود والبنادق والألغام وعربات المدافع، وافتتح مدرسة للهندسة العسكرية. للمزيد انظر: المغلوث، المرجع السابق، ص502.

وحتى الزخرفة إن بدت باروكية بشكل واضح إلا أنها صارت باروكية إسلامية[1]، لأن الزخارف كلها كانت بالأسلوب الباروكي المتأقلم مع الذوق الشرقي المسلم، كالعقود المتموجة، والأشكال المحاربة والصدفية، وورق الاقنة Acant ، وتيجان الأعمدة المتمايزة، كل ذلك تمت معالجته بأسلوب يختلف عن الأسلوب الأوروبي الخالص، ولكنه يشير إلى ميلاد أسلوب وفن باروكي تركي مسلم جديد[2].

عندما كانت السيادة للأسلوب الباروكي على منشآت اسطنبول كان هناك أسلوب جديد، بدأت تظهر إرهاصات تكونه، ألا وهو الأسلوب الإمبراطوري الذي يأخذ طريقه

نحو بسط نفوذه على منشآت أوروبا لكن ذلك الطراز لم يظهر في استانبول إلا أيام السلطان محمود الثاني[3] .

حيث بنى السلطان مسجد النصر سنة 1826م وبسط معسكراته بمنطقة الطوبخانة، فكان هذا أول نماذج الطراز الإمبراطوري أنجحها، وقد تكيف هذا الأسلوب ليساير الذوق التركي، وليكون دليلا على ظهور طراز مختلف من الأسلوب الغربي الأصل، ورغم أنه يذكرنا بمسجد نور عثمانية إلا أن النمط الباروكي قد اختفى في هذا المسجد تماما. حيث استخدمت عناصر بنائية كالنوافذ وغيرها على الطراز الإمبراطوري، غير أنها كانت ذات صبغة تركية إسلامية.[4]

عني العثمانيون بالجانب العمراني عناية واضحة[5]، والدليل على ذلك هو الاهتمام الكبير من قبل السلاطين العثمانيين بالعمارة، حيث نجد أنهم قاموا ببناء عدة منشآت عمرانية

[1]- الصفصافي، المرجع السابق، ص113.
[2]- نفسه، ص114.
[3]- محمود الثاني: ارتقى العرش وهو في الثالثة والعشرين من العمر، وكانت خبرته السياسية محدودة، تولى السلطة عام 1808م، وعهده قد امتلأ بالحروب والتطورات الهامة التي استنزفت معظم جهوده وكافة إمكانياته. للمزيد انظر: إبراهيم حسين، سلاطين الدولة العثمانية، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014م، ص404.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص116.
[5]- المغلوث، المرجع السابق، ص774.

ومن بينهم نذكر: السلطان محمد الفاتح[1] الذي أنشأ في القسطنطينية الكثير من المساجد والمعاهد العلمية والقصور والمستشفيات والخانات والحمامات العامة والأسواق الكثيرة والحدائق الواسعة، وشجع الوزراء وإنشاء المحلات التجارية التي تزيد في عمران المدينة، فقد كان السلطان محمد الفاتح يريد أن يجعل من القسطنطينية << أجمل عواصم العالم وحاضرة العلوم والفنون >>. وكذلك بناؤه الجامع الكبير باسمه والذي هو في قمة الروعة والفخامة.[2]

وكذلك نجد السلطان بيازيد الثاني[3] الذي عني على الخصوص بإنشاء المباني العامة الفخمة،وحسن شبكة الطرق والجسور التي أقامها أسلافه في طول الإمبراطورية وعرضها، مستعينا على ذلك بمهرة الصناع من اليونان والبلغار. وإن أعظم آثار بيازيد العمرانية ذلك المسجد الذي يحمل اسمه، والذي شيده ما بين 1437و 1503م، والذي يمتاز بفخامة مواده البنائية، وبزخرفته على الطريقة الفارسية[4]. كما أمر ببناء جامعة ما بين سنة 1501و 1507م، وكذلك إنشاء << مدرسة >>، كلية، ودار للضيافة، مكتب ومباني خدمية أخرى. كما قام بعملية إعادة إعمار المدينة بعد زلزال 1509م، الذي وصفه بعض المؤرخين بالقيامة الصغرى.[5]

بالإضافة إلى السلطان سليم الأول[6] الذي أعطى أهمية قصوى للمنشآت البحرية في استانبول، فقد توسعت الترسانة البحرية التي أنشأت في زمن محمد الفاتح، حتى أصبحت

---

[1]- محمد الفاتح: من أعظم سلاطين آل عثمان، وأول حاكم إسلامي أطلق عليه أمل أوربا لقب" السيد العظيم"، وهو فاتح القسطنطينية، تولى الحكم ما بين 1429- 1481م، للمزيد أنظر: عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، ط5، دار القلم، دمشق، 1413ه- 1993م، ص31.

[2]- نفسه، ص153.

[3]- بيازيد الثاني: هو ابن السلطان محمد الفاتح، حكم ما بين 1481- 1512م، كان محبا للصيد ومتدينا، وكان يقدر كثيرا العلم والعلماء، أتقن اللغتين العربية والفارسية، كما كان خطاطا وشاعرا. للمزيد أنظر: المغلوث، المرجع السابق، ص276.

[4]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م، ص444.

[5]- الصفصافي، المرجع السابق، ص60.

[6]- سليم الأول: امتدت فترة حكمه ما بين صعد العرش بعد تنازل أبيه عن الحكم له، كان محب لخوض المعارك، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ، كما عرف بميله إلى العصبة رجال العلم. للمزيد أنظر:إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د ط، مكتبة العبيكة، الرياض، 1415ه- 1995م، ص55.

تستوعب ثلاثمائة ورشة لصناعة السفن، كما أمر بناء قصر على الساحل فيما بين حي (سيركة جي) و <<براي بورني>>، أطلق عليه اسم << القصر الصيفي >> أو << قصر المرمر >>[1]. ومن أجمل ما أوجده سليم الأول في العاصمة، هو " تخصيص جزء كبير من قصره ليكون خزينة للأمانات المقدسة التي أحضرها من مصر.[2]

وبالرغم من أعمال بيازيد الثاني وسليم الأول المعمارية، إلا أن العمارة قد بدت وأنها في مأزق، لكن هذه الأزمة لم تدم طويلا خاصة خلال عهد السلطان سليمان القانوني الذي اعتبره المؤرخون " العهد الألمع في الإمبراطورية ..." لأن العمارة العثمانية وتنظيمها العمراني في القرن السادس عشر بشكل خاص مزالا يعتبران العصر الأكثر إبداعا وأصاله.[3]

حيث عرف السلطان سليمان القانوني[4] بذوقه الفني الرفيع[5]، وأنه كان مغرما بالبناء والتشييد، فظهر أثر ذلك في دولته، فاتفق ببناء على المنشآت الكبرى، فشيد المعاقل والحصون في رودس وبلغراد، وانشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتى أنحاء الدولة وغير ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة[6]. وقد ظهر عصره بأحد قمم العالم وعباقرته[7]، وأشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي، سنان آغا، ومن أشهر آثار سليمان هو جامع السليمانية في استانبول الذي قدر له أن يكسف أنوار آيا صوفيا[8] نفسها، كأثر من أجمل آثار الفن المعماري عند العثمانيين.[9]

---

[1]- الصفصافي، المرجع السابق، ص62.
[2]- نفسه، ص63.
[3]- أورتايلي، المرجع السابق، ص51.
[4]- سليمان القانوني:هو عاشر سلاطين الدولة العثمانية،ولد سنة 1494م،اعتلى العرش 1520م،أطلق عليه لقب القانوني،توفي سنة 1566م.للمزيد انظر:أوقاي ترياقي أوغلو،السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع،تر:عبد القادر عبدلي،ط1،الدار للعربية للعلوم،بيروت، 2013م، ص ص 96،97.
[5]- بير قدار، المرجع السابق، ص134.
[6]- نفسه، ص135.
[7]- الصفصافي، المرجع السابق، ص106.
[8]- آيا صوفيا:تعرف بكنيسة آيا صوفيا وأيضا بمسجد آيا صوفيا،وهي دار عبادة تاريخية تقع في استنبول كانت كاتدرائية بطريكية مسيحية ارثودكسية يونانية،ومسجدا عثمانيا،ومتحفا علمانيا، بنيت عام 537م.للمزيد انظر:بروكلمان،المرجع السابق،ص432.
[9]-نفسه، ص455.

بالإضافة إلى السلطان سليم الثاني[1] الذي أعطى قدرا كبيرا من الاهتمام بالجانب العمراني، حيث أصدر أوامر بتكليف المعماري سنان باشا، بإعادة ترميم جامع أيا صوفيا بعد التصدع الذي أصابه عند إعادة بنائه[2]، كما أضيفت إليها ثلاث مآذن أخرى في عهده وعهد خلفائه[3]، ومن أعظم آثاره المعمارية هو مجمع السليمية والذي هو من أعظم ما بنى سنان باشا بطلب من السلطان سليم الثاني، والذي كان ملحقا بعدة مرافق اجتماعية خدماتية. وقد عرض هذا الجامع بتفوقه عن جامع آيا صوفيا بعلو قبته عن قبتها بأربعة أذرع.[4]

ونتيجة لهذا الاهتمام الكبير بالجانب العمراني[5]، من قبل سلاطين الدولة العثمانية، والذي تفوق فيه العثمانيون، أدى بدوره إلى تنوع المنشآت العمرانية التي قاموا ببنائها، فاختلفت ما بين عمائر دينية وعلمية نتيجة عنايتهم بتشييد المدارس ومعاهد التعليم، والمساجد والكتائب والزوايا، وعمائر مدنية شملت القصور والبيوت والخانات والأسواق الكبيرة والمراكز التجارية والحمامات والبيمارستانات[6]. والأسبلة، وشبكة واسعة من الطرق والجسور[7]. أما العمائر العسكرية فتمثلت في القلاع والحصون التي حصنت بعناصر الدفاع والحماية المختلفة من أسوار وأبراج، وأبواب وسقاطات.[8]

ولا يمكن التحدث عن العمارة العثمانية دون التطرق إلى الخاصية الجمالية التي امتازت بها منشآت العمارة العثمانية، فقد أخذت هذه الخصائص والسمات المميزة للفنون

---

[1]- سليم الثاني:ولد عام 1525م،تولى العرش سنة 1566م،وهو يبلغ من العمر 44سنة،وهو السلطان العثماني 11.للمزيد انظر:حضرةعزتلو يوسف بك أصاف،تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن،تق:محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي،القاهرة،1995م،ص67.

[2]- الصفصافي، المرجع السابق، ص66.

[3]- بروكلمان، المرجع السابق، ص432.

[4]- علاوي، المرجع السابق، ص244.

[5]- عطا الله،المرجع السابق،ص363.

[6]- البيمارستانات: "بيمار" بمعنى المريض و" ستان" لاحقة تضيف الظرفية، أي مكان المريض، وكانت تطلق للدلالة على المصحة والمستشفى. للمزيد أنظر: حلاق وصباغ، الرجع السابق، ص49.

[7]- بيرقدار، المرجع السابق، ص164.

[8]- السقاطات: لغة: هي مكان إسقاط الشيء، واصطلاحا: هي عنصر معماري يرد في العمارة العسكرية وهو عبارة عن فتحة دفاعية تمكن المدافع من إلقاء مواد كاوية كالزيت أو الزفت أو الماء المغلي من خلال فتحاتها على المهاجمين أثناء وجودهم تحت الأسوار مباشرة، بالإضافة إلى تسديد السهام، للمزيد أنظر: عطا الله، المرجع السابق، ص364.

والعمارة العثمانية السابقة على فتح استانبول، وإنشاء سراي[1] طوب قابي في التبلور والوضوح بعد أواسط القرن الخامس عشر.[2]

ومن بين هذه الخصائص الجمالية، نجد صناعة الخزف، التي هي إحدى أرقى الصناعات العثمانية، والتي أحبها العثمانيون واستعملوها في أبنيتهم العسكرية، الدينية، والمدنية ومختلف أبنيتهم بمختلف ألوانها[3]، مثل استخدام الرخام الأبيض والأسود في عقود، مسجد بيازيد الثاني المشيد أعوام 1453و 1503م.[4]

وكذلك نجد الزخرفة التي تميزت بها العمارة العثمانية، حيث كان انتشار الفن والثقافة العثمانية يحضى بحماية و الدولة ورجال الدولة[5]، ولقد تميزت الزخرفة العثمانية بالغنى[6]، والتي لم تخرج عن الإطار الديني، فتنوعت ما بين نباتية احتوت على زهور وثمار مذكورة في القرآن الكريم، وزخرفة خطية استخدمت خاصة في العمارة الدينية مثل كتابة آيات قرآنية داخل المساجد.[7]

ظهرت في ميناء الحضارة العثمانية، منذ فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، وحتى عهد السلطان سليمان القانوني، أسماء معماريين عثمانيين كثيرين مثل: المعمار خير الدين، والمعمار كمال الدين، والمعمار يعقوب شاه، والمعمار عجم علي[8]، وكان لدى العثمانيين مهندسون معماريون، وخبرة واسعة منهم: سنان باشا[9]، حيث بلغت

[1]- سراي: كلمة فارسية الأصل وتعني المنزل أو القصر. وتعني في الاستعمال العثماني مجموعة المباني المشيدة في القصر الإمبراطوري من بلاط ومنازل، الأعضاء الأسرة المالكة وموظفي وشؤون القصر. للمزيد أنظر: سهيل صبان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، تر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 1421ه- 2000م، ص133.

[2]- أغلي، المرجع السابق، ص135.

[3]- أوزتونا، المرجع السابق، ص548.

[4]- زياد حمد الصميدي، و جمال الدين فالح الكيلاني، تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث، ط1، المنظمة المعرفية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب، 2013م،ص138.

[5]- أوزتونا، المرجع السابق، ص521.

[6]- المغلوث، المرجع السابق، ص779.

[7]- أغلي، المرجع السابق، ص118.

[8]- حرب،المرجع السابق، ص 157.

[9]- أوزتونا، المرجع السابق، ص539.

العمارة العثمانية ذروتها مع عبقريته[1]، ويقول المؤرخ التركي أحمد رفيق: لقد بلغ من حب الأمة العثمانية لسنان حدا جعلها تلقبه بلقب: << سر معماران جهان قوجة سنان >>، بمعنى: << سنان الكبير رائد معماري العالم >>.[2]

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص703.
[2]- حرب، المرجع السابق، ص158.

2/ أنواعها:

أثبت العثمانيون أنهم الورثة الحقيقيون لكل النشاطات المدنية والحضارية الكبيرة وهذا ما خلق لنا تميز في العمارة العثمانية عن غيرها من خلال أسلوبها المعماري والطابع الخاص، هذا الامتياز أدى إلى تنوع في مختلفات منشآت العمارة العثمانية بحيث تنوعت بين العمارة العسكرية والمدنية والدينية.

أ/ العمارة المدنية:

1/القصور: كانت ولا تزال قصور السلطنة العثمانية وما تتميز به من روعة موضوعا للنقاش وصناعة الشعارات، وبما أن الدولة العثمانية كانت تنتمي إلى حلبة الكبار كان لابد عليها من الالتزام بالبروتوكول المشترك ويتجلى ذلك من خلال إنشاء القصور والإبداع فيها.[1]

ومن بين القصور التي صنعت التاريخ والعظمة في العمارة المدنية العثمانية نجد:

-قصر طوب قابي:

قام السلطان محمد الفاتح بتشييد هذا القصر بعد فتح القسطنطينية حيث أقيم هذا القصر في اسطنبول في موقع يمتد بين القرن الذهبي وبحر مرمرة.[2] يغطي هذا القصر مساحة 700000 مترا مربعا، وتفصله عن الشاطئ الأسوار البيزنطية، ومدعم بثمانية وعشرين برجا، ويتم الوصول إليه عبر سبعة أبواب عظيمة أهمها الباب الرئيسي " باب أبى همايون " وهو أشبه بقوص نصر، شيده محمد الفاتح وغالبا ما يبدو اليوم فاقدا لشكله الأصلي.[3] السراي الجديد أو طوب كابي "سراي باب المدافع" المعروف عند العثمانيين بهذا الاسم،

[1]- موسوس سمية ،وسحاب نورة، المجتمع الاسطنبولي في القرن 10ه- 16ه، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة يحي فارس، المدية، 2019م، ص46.
[2]- الصفصافي، المرجع السابق، ص123.
[3]-مانتران، المرجع السابق، ص398.

حيث يشتمل هذا السراي على مجموعة من البناءات الأخرى على غرار قاعات الاجتماع والدواوين والمكتبات. وقد أخذ هذا السراي شكله الحالي بعد إضافة عدد من المنشآت الأخرى كالمطبخ وأجنحة الحريم والحدائق على مدى سنوات وعصور متتالية، إذ ظل هذا السراي مقرا للسلاطين العثمانيين في القرن التاسع عشر ميلادي.[1]

ومن مزايا هذا القصر طوب كابي أنه كان يمثل المنزل العائلي للسلطنة العثمانية، والمركز الأول لتقاليدها، وبقي محافظا على هذه المكانة حتى القرن التاسع عشر، ممثلا بذلك مقر الدولة لوقوعه على أجمل منطقة في الأرض،[2] ويمثل سراي طوب كابي مجموعة معمارية لا نظير لها فهو بمثابة المركز الإداري والتعليمي للإمبراطورية، يلبي الاحتياجات الرسمية والخاصة[3]على السواء، ويبرز ماضي العمارة المدنية العثمانية على مدى أربعمائة سنة تقريبا.[4]

قصر ضولمة باغجي (باشه)

وهو أكبر سراي أقيم في ساحة على الساحل الأوروبي في مدينة اسطنبول وقد ألحقت به قصور وملحقات منذ زمن السلطان أحمد الأول على مر العصور، واحتشدت العديد من السرايا والقصور واكتملت كل منشآت السراي "ضولمة باغجة" وملحقاته في نهاية القرن 18، وبداية القرن 19، ويعتبر "ضولمة باغجة" أو كما يعرف سراي حديقة "ضولمة" تحفة فنية معمارية وكل قصر من قصوره يعتبر نموذجا فريدا من الفن الإسلامي.[5]

[1]- الصفصافي، المرجع السابق، ص 398.
[2]- موسوس،و سحاب، المرجع السابق، ص 123.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص 702.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص131.
[5]- مانتران، المرجع السابق، ص392.

2/ البيوت:

كان البيت العثماني يشيد داخل حدائق صغيرة، ويبنى من طائفتين فوق قاعدة صلبة، باستخدام الخشب ويلون بألوان زاهية وبأسقف ذات ميل بارز، ونوافذ عديدة تطل على الخارج، وهذا النموذج من البيوت تشكل تدريجيا في وصل إلى تمامه في القرن الثامن عشر، حيث تعددت نماذج البيوت وتنوعت وهذا ما أضفى عليها جانبا كبيرا من الجمال والجاذبية، حيث أصبحت نماذج البيوت الأكثر فخامة تعتبر قصور صغيرة خاصة تلك المشيدة على ضفاف البوسفور التي اعتبرت مكان للاستراحة والاستجمام.[1]

3/ الحمامات:

تعتبر الحمامات جزء من المنشآت المعمارية فهي تكمل العمارة المدنية، ونجد عند العثمانيين حمامات للنساء والرجال وهي أماكن يقضي فيها المرء ساعات للراحة إلى جانب عمليات الغسل والنظافة.[2]

وقد كان جامع الفاتح يحتوي على حمام بني عام 1553م/960هـ، على يد الصدر الأعظم رستم باشا في عهد سليمان القانوني، تم تخطيطه بأسلوب بالغ التطور، فبعد غرفة المدارس والغرفة الدافئة بقبتها نجد الغرفة الساخنة التي تحتوي على حوض كبير للماء الساخن.[3] ومن أكبر الحمامات التي نجدها هو الحمام الذي أقامه المعمار سنان باشا للسلطانة خرم زوجة السلطان سليمان القانوني عام 1553م، يعرف باسم "خاصكي حمام" تم تشييده في اسطنبول وهو مبنى طويل يمتد على مساحة 80مترا، ويتميز بأحجام جيدة التوزيع.

[1]- الصفصافي، المرجع السابق، ص 135.
[2]- موسوس،وسحاب، المرجع السابق، ص45.
[3]- مانتران، المرجع السابق، ص393.

كذلك نجد في بورصة العديد من الحمامات من أشهرها الحمام الذي بناه بيازيد الثاني الذي له قبة قطرها 16مترا، إضافة إلى حمام "أيسكي كابليجا" الذي بني في عهد مراد الأول وجدد مرارا.[1]

وتعتبر الحمامات التي بناها بيازيد الثاني حمامات مزدوجة فهي ضخمة ترجع إلى القرن السادس عشر ميلادي، ففي اسطنبول لا يخلوا حي من الأحياء من الحمامات، سواءا في سراي أو غيره من الأحياء والقصور، والبعض من هذه الحمامات كانت من الأوقاف مثل حمام الخزفي "جينلى حمام" الذي كان من الأوقاف خير الدين بربروس، ومعظم هذه الحمامات مازالت تؤدي وظيفتها إلى اليوم ولكل مواطن في اسطنبول مواعيد للتردد على هذه الحمامات مهما كان مستواه الاجتماعي.[2]

4/ الخانات والجسور:

وهي التي تتواجد على الطرق خاصة الطرق المؤدية إلى أوروبا فالخانات هي بنايات ضخمة تتميز بخصائص معمارية رفيعة، ومن أشهرها نجد خان الكير كيتشيلير خاني الذي يرجع إلى عام 1968م، الذي يتميز بحجم كبير جدا يزيد عن 176 غرفة موزعة على طابقين حول حصنين واسعين لكنه دمر نتيجة الزلزال الذي ضرب سنة 1896م.[3]

أما الجسور فقد كانت رائعة موفقة بين الجمال والرسوخ[4] ومن أشهر الجسور نجد "جسر مستار" الذي أمر السلطان سليمان القانوني بإنشائه وهو قائم حاليا في يوغسلافيا وهو جسر يدعو للدهشة والإعجاب، إضافة إلى الجسر الذي شيده مراد الثاني (أركنة) الذي

[1]- الصفصافي، المرجع السابق، ص ص135- 136.
[2]- مانتران، المرجع السابق، ص393.
[3]- موسوس وسحاب، المرجع السابق، ص
[4]- أوزتونا، المرجع السابق، ص542.

يبلغ طوله 1240م، كذلك الجسر الذي شيد القانوني "جسر أوستيك" الذي مرت عليه العديد من الجيوش العثمانية.[1]

5/ دور الشفاء:

وهي مؤسسات وقفية كانت تقوم بنفس الوظيفة التي تقوم بها المستشفيات اليوم، وقد أطلق على دور الشفاء في الأدبيات العثمانية أسماء مثل: دار الصحة، شفا خانة، بيمار خانة ومع ظهور المؤسسات الصحية الحديثة أطلق عليها مصطلح حسنة خانة.[2]

واهتم السلاطين العثمانيين بدور الشفاء ووضعوا لها نظاما مثاليا في غاية الدقة والجمال، وكان بكل دار شفاء طبيب أو اثنين يساعدهم جراح وصيدلي وجماعة من الخدم ويشترط من جميع العثمانيين بالمستشفى أن يكونوا ذو القناعة والشفقة والإنسانية.[3]

وقد أقيم عدد من المستشفيات خلال العهد العثماني ولاسيما في اسطنبول حيث نجد دار الشفاء التي أقيمت داخل كلية الفاتح 1470م التي تضم سبعين حجرة ويعلوها سبعون قبة. وتحتوي أقساما مستقلة لعلاج النسوة والمرضى غير المسلمين، كذلك نجد دار الشفاء التي شيدها بيازيد الثاني عام 1488م وكانت تحتل مكانة هامة في علاج أمراض العيون والأمراض العقلية، ومن حيث البناء وتلقت الأنظار، إذ تعد أثرا معماريا فريدا أقيمت بأسلوب رائع وكان لأسلوبها أثرا على المخططات المباني الصحية الأوروبية.[4]

كذلك لاننسى دور الشفاء التي شيدها المعمار سنان لوالدة السلطان مراد الثالث وزوجة السلطان سليم الثاني في أوسكودار 1583م، وعرفت باسم (والدة عتيق دار الشفاء)

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص483.
[2]-محمد خير فلاحة،الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد دراسة موضوعية تبين أحوال السلاطين وما كانت عليه من حضارة التزيين ثم ما تلاها من تهور العابثين،د ع، د ه ن،2005م،دب، ص29.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص485.
[4]- نفسه، ص487.

أي دار الشفاء الوالدة الكبرى، التي كانت تعالج كافة الأمراض غير أنها خصصت منذ عام 1858م. في عام 192èم لعلاج مرضى الأمراض العقلية.[1]

ب/ العمارة الثقافية والدينية:

1_ المدارس: كانت المدارس العثمانية في عهدها الأول استمرارا طبيعيا للنشاط التعليمي الذي كان قائما في الأناضول قبل العثمانيين، ويعد مجيء العثمانيين أضافوا عليها عناصر جديدة بحيث جرت العادة عند العثمانيين عقب كل فتح إقامة جامع بجواره مدرسة.[2] وكانت أولى المدارس تلك التي أقامها السلطان أورخان في أزنيق التي خصص لها أوقافا وتعين مدرس ومتولى لأوقافها.[3]

كذلك نجد مدرسة (لالا شاهين) التي بنيت في بورصة عام 1348م. وكذلك مدرسة (دار الحديث) التي أنشأها السلطان مراد الثاني في أدرنة التي نصت على تدريس علم الحديث.[4] إضافة إلى مدرسة (آق مدرسة) أقيمت عام 1415م، وكل هذه المدارس كانت تشكل النظام المدرسي الذي كان ساريا قبل ظهور المدارس التي أقامها محمد الفاتح.[5]

-المدارس الثمانية (كلية ومجمع الفاتح):

بعد فتح القسطنطينية شرع محمد الفاتح بأعمارها وإضفاء شخصية جديدة عليها، حيث تم تحويل ما يزيد عن مائة بناء بيزنطي إلى مدارس ومؤسسات دينية، لذلك أمر الفاتح بإقامة كلية فوق أحد مرتفعات اسطنبول وأقيمت داخل الكلية عدة مدارس عرفت بمدارس الثمانية.[6]حيث كان الطالب يقوم في هذه المدارس بإكمال المرحلة الأخيرة من الدراسة،

---

[1]- أغلي، المرجع السابق ، ص453.
[2]- خليل اينالجيك،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار،تر:محمد.م.الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان، ص255.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص453.
[4]- نفسه، ص ص454- 455.
[5]- نفسه، ص406.
[6]- اينالجيك، المرجع السابق، ص138.

بالإضافة إلى إلحاق بها مساكن للطلبة،مع وضع لهم منحة شهرية وكذلك إنشاء بجانبها مكتبة خاصة.[1]

وكان السلطان مراد الثاني قد أقام في أدرنة مدرسة "ذات الشرفات الثلاثة" (أوج شرفة مدرسة) وجعل أجر مدرسها مائة أقجة،فرأى السلطان الفاتح أن يوفق بينهما وبين الترتيب الجديد، فأقام مدرسة أخرى إلى جانبها وقسم المائة أقجة على مدرسي الأولى والثانية، وبذلك تساوت ذات الشرفات مع مدارس الصحن.[2]

-كلية ومجمع سليمان القانوني:

وعلى المرتفع الثاني من المرتفعات السبعة التي أقيمت عليها مدينة اسطنبول، أقام سليمان القانوني كليته إلى مثلث دورة التاريخ الثقافي والعلمي عند العثمانيين، أنشأت بين (1550- 1557م) التي كشفت عن عظمة عهد القانوني وعبقرية المعمار سنان مرحلة تطور هامة في التعليم العثماني، وأقاموا حول الجامع عددا من المدارس والكتائب التي كان التعليم فيها على شتى المستويات وتخصصات، وأقيم داخل الكلية كتاب للصبية وأربع مدارس أخرى عرفت بمدارس الصحن.[3]

2/ المساجد والجوامع: إن الجوامع والمساجد هي بيوت الله تعالى، وهي الآثار الوحيد التي تشهد على العظمة الإلاهية والحضور الدائم للإسلام، حيث تقام فيها الشعائر الدينية وتحفيظ القرآن ودراسة الأمور الشرعية والشؤون العامة،[4] وقد كانت المساجد العثمانية جزء من النسيج الاقتصادي للمدينة لأنها كانت تمول من عائدات المؤسسات أو الأوقاف، وكان كل

[1]- أغلي، المرجع السابق، ص459.
[2]- نفسه، ص460.
[3]- نفسه، ص 460.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص 103.

مسجد يضم هيئة واسعة من العلماء، بالإضافة إلى كون الأوقاف من أهم الأسباب التي جعلت الكثير من العثمانيين ينشئون المساجد في مختلف أرجاء الإمبراطورية.[1]

_مسجد سليم الأول: شيد هذا المسجد عام 1522م-929هـ أنجزه السلطان سليمان القانوني بأمر والده سليم الأول، يرجع تخطيط هذا المسجد إلى الاستلهام من تخطيط المسجد ذي القبة الواحدة إذ يساوي قطرها 24متر، حيث كان المهندس المعماري منشغلا بالتغطية ليتوصل إلى التوفيق بين القبة الكبيرة التي سبق ذكرها وبين جدران القاعة لذلك كان عليه التضحية بارتفاع المبنى.[2]

_مسجد بيازيد الثاني: أنجز هذا المسجد عام 1505 وهو أول أثر يمكن يمكن رصد تأثير آيا صوفيا فيه بوضوح، تم تشييده في أدرنة من طرف المعماري خير الدين ويمكن اعتباره انتقالي نظرا لتشابهه مع لكتبه، غير أن هذا الاختلاف أن قبب المسجد أصغر من قبب الكنيسة، وكونها منفصلة تماما عن جسم المبنى.[3]

_جامع محمد الفاتح: قام السلطان محمد الفاتح بتشييد هذا الجامع الشهير باسمه على التل الرابع في المدينة، يحتوي المسجد على مئذنتان عاليتان وهو في تمام الروعة والفخامة، وقد صمم هذا الجامع بحيث يرى من البحر على بعد مسافة بعيدة، إذ يستشعر الناظر فورا الروح الإسلامية لهذا البلد الذي هو مقبل إليه.[4]

_تأثير أيا صوفيا:

تعد كنيسة آيا صوفيا من أضخم وأشهر المنشآت التي مارست تأثيرا على العمارة العثمانية، والتي يدرسها أهم المعماريين في الدولة العثمانية بعناية. هذه الكنيسة الواقعة في قلب العاصمة الجديدة، وكان بناء أثر مساوي لها أو حتى التفوق عليها هدفا لدى الأتراك

[1]- موسوس، وسحاب، المرجع السابق، ص 42.
[2]- الصفصافي، المرجع السابق، ص103.
[3]- موسوس، وسحاب، المرجع السابق، ص42.
[4]- فهمي، المرجع السابق، ص159.

انطلاقا من إيديولوجيتهم ومعتقداتهم [1] ولقد جرب المهندسون المعماريون في القرن16م جاذبية أيا صوفيا وتأثيرها، فلن يصبحوا بعد ذلك ناسخين مقلدين بل مقلدين مبقين على التقاليد التي ترجع إلى زمن السلاجقة.[2]

3/ التكايا والزوايا: وهي مؤسسات تعليمية دينية من نوع آخر، وهي أماكن للتعليم والتربية واكتساب المعارف الدينية والصوفية وتطبيقها، وقد ترك التعليم الديني والصوفي في التكايا والزوايا أثرا عظيما في التعريف بالدين الإسلامي ونشر مبادئه بين الناس، وكان لكل تكية وزاوية أسلوبها الخاص في التعليم تبعا للطريقة التي تميل إليها، وانتشرت هذه المؤسسات في المناطق والأماكن النائية بشكل مكثف. وذلك من أجل المساعدة في تأسيس الوحدة الدينية والثقافية بين الأهالي[3] وكان يسكن في هذه التكايا والدور شيخ الطريقة مع عدد من إتباعه العزاب، بينما يسكن الدراوشة المتزوجون خارجا ويحضرون الإحتفالات[4].

4/ الأضرحة والمقابر: للموت حرمته والقبور هي دار الآخرة، والخلود لمحة من اللمحات التي أودعها الخالق في نفوس خلقه، وهنا حرص كل ذوي شأن من السلاطين والحكام أن يتركوا من اللمسات ما يجعلهم يعيشون في وجدان الأهل وفي نفس الرعية[5].

تكتسب الأضرحة والمقابر العثمانية إعجابا كبيران فهذا الفن الجنائزي كان مستمدا من الأضرحة السلجوقية، وقد بلغت الأضرحة العثمانية ذروتها من الإعجاب بعد تدخل المعماري سنان الذي اشتهر بالتفوق في هذا المجال.[6]

حيث تميزت هذه الأضرحة التي شيدها سنان بالاتساع مقارنة مع الأضرحة التي بناها أسلافه، إضافة إلى اهتمامه الكبير بالزخرفة والخزف التي تظهر بشكل بارز في

[1]- اوزتونا، المرجع السابق، ص288.
[2]-موسوس، وسحاب، المرجع السابق، ص44.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص475- 476.
[4]- بيرقدار، المرجع السابق، ص186.
[5]- الصفصافي، المرجع السابق، ص117.
[6]- مانتران، المرجع السابق، ص ص 394- 395.

ضريح سليم الثاني وضريح مراد الثاني.ومن الناحية المعمارية فإن الضريح الأكثر توفيقا هو ضريح محمد شاه زاد الذي بناه سنان في حصن المسجد الذي يحمل نفس الاسم فهو منسجم بحجمه ومتوازن له نافذتان تضفى عليه كثافة وكمالا.[1]

ج/ العمارة العسكرية:

1_القلاع:

_قلعة أناضولي حصار: قام بإنشائها السلطان بيازيد الأول في القرن الرابع عشر 1397م، لكي يكون رأس الجسر في مواجهة بيزنطة ولسيطرة على مضيق البوسفور، وقام محمد الثاني بترميم هذه القلعة التي تعرف في كتب التاريخ بالقلعة الجديدة أو القلعة البيضاء وجعلها أكثر متانة واستحكاما سنة 1452م، وأضيف إليها مصلى، وما زالت هذه القلعة حتى اليوم مزارا سياحيا يشهد للعبقرية العسكرية بالتفوق والخلود.[2]

_قلعة الروملي حصار: وهي القلعة التي بناها السلطان محمد الفاتح تمهيدا لفتح القسطنطينية ولإحكام الحصار حولها، وتعد قلعة روملي حصار من أهم معالم مدينة اسطنبول، وتتميز بأسوارها وأبراجها العالية تطل على البوسفور، وكانت طوال العصر العثماني قاعدة الأعمال الحربية.[3]

2_ الأسوار: تعتبر الأسوار من بين المنشآت المعمارية التي استخدمت في الحروب والتحصينات العسكرية لدى العثمانيين، حيث نجد في اسطنبول بعد الفتح المبين هدم الأسوار لكن محمد الفاتح أعاد ترميمها، وبعد تولي السلطان بيازيد العرش أعطى لهذه

[1]- مانتران، المرجع السابق، ص396.
[2]- الصفصافي، المرجع السابق، ص ص98- 99.
[3]- فلاحة، المرجع السابق، ص81.

الأسوار أهمية بالغة، وكان لهذه الأسوار أبراج، وقد أعيد ترميم هذه الأسوار من جديد بعد الزلزال الذي ضرب مدينة اسطنبول من خلال إجراء لها ترميمات كاملة وجديدة.[1]

3_مصانع البارود: اهتم العثمانيين بالمنشآت العسكرية العديدة والمتنوعة فأنشئوا دور ومصانع للصناعة العسكرية لسد احتياجات الجيش من ملابس والسروج والدروع ومصانع الذخيرة والأسلحة[2]، ومن أهم العمائر العسكرية التي شهدتها مدينة اسطنبول منذ القدم والتي ما زالت موجودة حتى الآن هو مصنع المدافع (الطوبخانة) هذا المصنع كانت تضع فيه المدافع العملاقة أنشأ في القرن السادس عشر ميلادي، حيث يعتبر أثرا معماريا فخيما، وقد تم تعميره وترميمه وتجديده في عهد السلطان سليم الثالث، ثم تحول فيما بعد إلى معهد الفنون الجميلة.[3]

[1]- موسوس، وسحاب، المرجع السابق ص 41.
[2]- فهمي، المرجع السابق، ص 161.
[3]- الصفصافي، المرجع السابق، ص101.

3/ خصائص ومميزات العمارة

العمارة العثمانية كغيرها من عمارات الأمم التي سبقتها أو عاصرتها، امتلكت مميزات وخصائص انفردت بها، سواء من ناحية الشكل البنائي أو من الناحية الجمالية.

أ-من الناحية المعمارية:

ومن بين هذه المميزات نجد أن العمارة العثمانية عرفت بضخامة وشساعة مساحة مبانيها، وما يثبت ذلك هو وجود قسما من الآثار العمرانية العملاقة الكائنة في دلهي، أغرة[1]وجوارها، وتاج محل الشهير[2]، والتي شيدها المعماريون العثمانيون[3]، وكذلك نجد اهتمام السلطان بايزيد الذي أنشأ المباني الضخمة وكذلك شبكة من الطرق والجسور[4]، ومثل الجامع العظيم في استانبول الذي أنشأه السلطان سليمان القانوني بداية من سنة 1550م، والذي أفرد بناءه على رقعة فسيحة من الأرض، كما انتشرت أجنحة قصري أدرنة وطوب كابي فوق مساحات أكبر اتساعا.[5]

بالإضافة إلى فن البناء العسكري العثماني والذي كان كذلك متقدم بنفس الدرجة، حيث تشاهد القلاع العثمانية شامخة في أقطار لا تخطر على البال، ومثال ذلك قلعة إسكندرية (أبو قير) التي شيدها بكلربك مصر سليمان باشا سنة 1528م، وهي قلعة

---

[1]-أغرة:اكره بالأردو،و بالعربية أغرة،هي المدينة التي تقع في شمال ولاية اتربرديسالهند،تقع في جنوب العاصمة نيودلهي،تأسست عام 1453م.للمزيد انظر:ويكيبيديا،أغرة،8-09-2020م
سا:9.50،https ://ar.m.wikipedia.org.

[2]-تاج محل:ضريح ضخم يقع في الهند،في أغرة تحديدا،شيده الإمبراطور المغولي شاه جهان بين عامي 1631-1653م،تخليدا لذكرى زوجته التي كان يحبها وهي الأميرة ممتاز محل ،ويعتبر أجمل المباني المعمارية في العالم.للمزيد انظر:موضوع،ماهو تاج محل،هديل البكري،3-9-2020 سا:12.30،https://mawdoo3.com.

[3]- أوزتونا، المرجع السابق، ص521.

[4]- الصميدعي والكيلاني، المرجع السابق، ص53.

[5]- بروكلمان، المرجع السابق، ص455.

عظيمة يحيط بها البحر الأبيض المتوسط من الجهات الأربع[1]، وقلعة الأبراج السبعة التي بناها السلطان محمد الفاتح في الجانب الغربي للبحر مرمرة.[2]

وكذلك نجد المنهج الذي تم السير عليه في بناء تلك الآثار، وهو بناءها على هضبة أو مكان مرتفع يطل على المدينة كلها، للتمكن من رؤيتها من أي مكان في المدينة.[3]مثل قصر السراي الذي بدأ السلطان محمد الفاتح بتشييده سنة 1454م، والذي كان على ربوة مرتفعة في داخل المدينة.[4]

كما كان القصر العثماني محل انتباه مثير للأوربيين، ولقد كتبت أوصاف كثيرة له، تختلف في الدقة والصحة، حيث أحسن الأوصاف القديمة هي ما كتبه ottaviano bonسفير جمهورية البندقية في اسطنبول من 1606 إلى 1609م[5]، في رسالته المعنونة ب << وصف سيراجليو السيد العظيم >>[6]. والتي كانت تتميز بمواقعها الطبيعية الخلابة[7]. وتجلي الإسراف فيها بشكل واضح، وخاصة تلك القصور التي بنيت في اسطنبول مركز الحكم العثماني، حيث قام العثمانيين بالاستعانة بأفضل المعماريين والفنانين في بنائها، كما أنهم قاموا باستخدام الذهب فيها، فبلغت درجة عالية من التبذير والبذخ البالغ فيها.[8] ولعلى أشهرها والذي بقي موجودا إلى يومنا هذا هو سراي طوب قابي[9]، وهو يقع على أجمل نقطة في الأرض على حافة رأس بحري يدعى sarayburnu(ويعني موقع القصر) ويمكن رؤيته

---

[1]- أوزتونا، المرجع السابق، ص545.
[2]- بروكلمان، المرجع السابق، ص435.
[3]- طوباش، المرجع السابق، ص442.
[4]- بروكلمان، المرجع السابق، ص435.
[5]-برناند لويس،استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية،تع:سيد رضوان علي،ط2،الدار السعودية،الرياض،1402ه-1972م، ص197.
[6]- سيراجليو: حيث يسكن السلطان مع حاشيته، يحيط به سور عال قوي، عليه عدة أبراج للمراقبة، ولكن البوابة الرئيسية (التي فخمة بحق).للمزيد انظر:ألبيرأورتا يلي،إعادة استكشاف العثمانيين، تر:بسام شيخا، ومروتص، ط1،الدار العربية للعلوم،بيروت،لبنان،1433ه-2012م،ص109.
[7]- نفسه، ص110.
[8]- هنادي سمير نامق كنعان، الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس دراسة تحليلية ، أطروحة الماجستير في هندسة العمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010، ص13.
[9]- الصفصافي، المرجع السابق، ص63.

من جميع أنحاء المدينة[1]. وهو ينقل لنا الحضارة العثمانية بكل روعتها وجمالها.[2]

كما انعكست معالم الثراء على دور العلم القائمة، وما أستحدث بجوارها من كليات وجامعات ومستشفيات وأوقاف خيرية ودور للحديث ومكاتب للصبية.[3]

بالإضافة إلى خاصية القبة العثمانية التي تفوق فيها العثمانيون وحققوا نجاحا بارعا ورائعا، وهي المشكلة التي عانى منها الغزنويون والسلاجقة العظام، وتفوق عليهم العثمانيون فيها، ويمكن الحكم على ذلك بجلاء عند النظر إلى عمائر المساجد العثمانية.[4] حيث أكبر قبة في العالم << كل كونيت 1656م كانت على الطراز العثماني بشكل بارز، وكذلك العلم الذي هو شكل هلال، الموضوع على القبة خاص بالعثمانيين فقط[5]. قصر توبكابي التي كانت ترى من أي مكان في استانبول، والتي أطلق عليها أسماء متنوعة مثل قصر العدل

(kasr–lAdL) وهذا المكان الذي كان يجتمع فيه قبة الوزراء، أي هو المجلس الذي كان يدير الدولة[6]، والمباني القديمة والمساجد الجميلة التي تثير الإعجاب بقباها المزينة بنقوش معقدة والأبراج التي تطاول الغيوم.[7]

وإن الفن العثماني... كبقية الفن الإسلامي، فن حضارة المدينة في المقام الأول من حيث الجوهر، ومركز المدينة الإسلامية في الغالب والأعم هو المسجد الجامع[8]، فقد استعاض الترك في عمارة الجوامع والمساجد عن تخطيط المسجد العربي بتخطيط أكثر

[1]- أورتا يلي، "إعادة استكشاف ..."،المرجع السابق، ص112.
[2]- نفسه، ص114.
[3]- الصفصافي، المرجع السابق، ص64.
[4]- أوقطاي أصلا ن آبا، فنون الترك وعمائرهم، تر: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية العثمانية، استانبول، 1987م، ص65.
[5]- أوزتونا، المرجع السابق، ص521.
[6]- أورتا يلي،"إعادة استكشاف ..."، المرجع السابق، ص144.
[7]- أولغا نيفيد وفا، رحلة إلى عالم العثمانيين، تر: إسلام حمزة،ط1، سكيرا الديتوري، هيئة متاحف قطر، إيطاليا، 2010م، ص25.
[8]- الصفصافي، المرجع السابق، ص102.

كونية، وتلاؤما مع البيئة، وإن أول مساجد العاصمة في استانبول، لم تنشأ من فراغ بل نشأت على غرار مخططات مساجد إزنيك، وبورصة وأدرنة.[1]

كما أن العمارة العثمانية فاقت في هذه المساحة – وهي المساحة الدينية– العمارة الشرقية، وكذلك العمارة الغربية، التي كانت تتمثل في الكنائس والتي كانت مشهورة بأنها مظلمة وبعيدة عن النور، حيث كانت أمام عمارة المساجد متخلفة للغاية، وذلك لأنها كانت أبنية جافة عبارة عن كتلة من الأحجار الصلبة، تمتلئ من داخلها بالظلام مما يجعل النفس تضيق بها، أما العمارة العثمانية في المساجد فكانت أبنية ممتلئة بالسعادة والفرح لما فيها من نور يجعل القلوب مطمئنة، نور يعكس نور الإيمان بكل جوانبه.[2]

والإبداع الفني الذي تميز به العثمانيين هو إقامتهم لمجمعات دينية وثقافية واجتماعية، حول مركز مدينتهم أي المسجد، منها المراكز الاقتصادية، الأسواق، الخانات المعدة لاستقبال التجار، والدواب...إلخ، وكذلك إنشاء زوايا، وحمامات، وأسبلة في جميع الأحياء إلى حد ما، وذلك من أجل راحة ساكني المدينة.[3]

وفي عصر محمد الفاتح تشكل لأول مرة تجمع أثري، يجمع كافة الخدمات الدينية والاجتماعية والثقافية، ودرج المسجد في نسق معماري حقيقي[4]، مثل جامع السلطان محمد الفاتح الذي أنشىء ما بين سنة 1462م و1470م، وأسس حوله جامعته المسماة <<صحن الثماني >> والتي أعقبها بمدارس التتمة للطلاب، ودار للشفاء، وعمارات للسكن، وحمام ودكاكين للوراقين.[5]

[1]- الصفصافي،المرجع السابق، ص103.
[2]- طوباش، المرجع السابق، ص1414.
[3]- الصفصافي، المرجع السابق، ص102.
[4]- نفسه، ص105.
[5]- نفسه، ص59.

أما البيوت العثمانية فقد تميزت بطابعها الخشبي، مع وجود بعض البيوت الحجرية منها، وأحيانا كانت مزيج من الاثنين، مع وجود حدائق داخلها، كانت البوابة الخارجية مستقلة وتخص عائلة واحدة، لا يوجد نظام عمارات، بالإضافة إلى ميزة تقسيم البيوت العثمانية والقصور إلى قسمين، للنساء (حرم) وللرجال (سلا ملك)[1]، وكذلك كانت الزينة والتأثيث الداخلي بسيط، بعيد عن المبالغة في المظهر ويمتاز بالوقار مع عدم وجود أثاث كثير، وقد بدأ دور الأثاث الكثير من المبالغة في المظهر في الهندسة المعمارية الداخلية مع التنظيمات[2] وزوال مظاهر الوقار.[3]

بالإضافة إلى الأسواق العثمانية المسقوفة وأسواق الحاميات الأثرية، التي أعتبرت منجزات تدهش المرء، وأعتبر سوق استانبول المسقوف هو أكبر سوق مسقوف على وجه الأرض حاليا أيضا، حيث يحتوي على 4آلاف مخزن، 5جوامع، مدرسة ابتدائية، 10 حنفيات عامة و61 زقاقا، و21 خانا كبيرا خارجه لكنه ملاصق له، وكانت جميع شوارعه مسقوفة تماما وهذه الأزقة والمخازن جميعها تحت هيكل سقف واحد.[4]

ب- العمارة من الناحية الزخرفية:

1/ تعريف الزخرفة: هي علم من العلوم الفنية التي تبحث في فلسفة التكوين والفراغ واللون والخط، وهي إما وحدات هندسية أو وحدات طبيعية، تحورت إلى أشكالها التجريدية، وتركت المجال لخيال الفنان وإحساسه وإبداعه حتى وضعت لها قواعد وأصول، تتم بواسطتها وضع

[1]- أوزتونا، المرجع السابق، ص581.
[2]- التنظيمات:هي عبارة عن إجراءات تشريعية تقوم بتقنين حركة الإصلاح،وذلكماحدث بداية من خط كولخانة عام 1839م ونهاية بدستور مدحت باشا1876م.للمزيد انظر:قيس جواد العزاوي،الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط،ط2،الدار العربية للعلوم،بيروت،لبنان،2003م،ص32.
[3]- أوزتونا، المرجع السابق، ص545.
[4]- نفسه،ص 545.

رسومات وتصميمات وموضوعات زخرفية وطبيعية هندسية مأخوذة ومقتبسة من الطبيعة على أسس سليمة من الناحية الفنية والعلمية.[1]

2/ أنواع الزخرفة

أ-**الزخرفة النباتية:** حيث احتلت الزخرفة النباتية مكانة كبيرة في الفن الإسلامي وخاصة العثماني، لاعتبار الأزهار والأشجار عناصر مجردة تمثل براءة الطبيعة، ومن الزخارف النباتية التي أتقنها العثمانيين نجد:

-**زهرة اللاله:** التي تعرف باسم شقائق النعمان، وكذا باسم عمامة السلطان لأنها تتكون من عدة طبقات مما يجعلها تشبه العمامة، وقد أطلق الأتراك على هذه الزهرة اسم الاله حيث حظيت بمكانة عقائدية بارزة في حياتهم وفنونهم، وذلك لأن حروف اسمها وهي (الألف واللام والهاء) هي نفس حروف اسم الجلالة (الله). وقد رسمها الفنان العثماني بأشكال عديدة مع مراعاة مبدأ التقابل والتدابر على جانبي الغصن المركزي. (انظر الشكل1ص103).[2]

-**زهرة الرمان:** وتعد من النباتات التي تتخذ شكلا مسنا تتفرغ إلى ساق عريضة مقوسة ينبثق منها أوراق نباتية محورة بالأزرق الفاتح والفيروزي ولها بتلات ذات نهاية مسنة.(انظر الشكل2ص103).

-**زهرة القرنفل:** ترجع أصولها إلى الهند وارتبطت عندهم بعقائد قديمة واعتبروها رمز للسعادة، وقد رسمها الفنان باللونين الأزرق الداكن والفيروزي مغلقة ذات بتلات مسننة،

[1]- islamicb،رحلة الزخرفة من الكهوف إلى المحاكاة،هند علي محمد سعيد،17-02-2020،سا10.47,https://islamicb .com

[2]- رحاب محمد النحاس، القيم الجمالية للون الأزرق السائد على التحف الزخرفية العثمانية دراسة في التراث والفنون الإسلامية ، **"مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية"**،مج 11،ع7،كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،الإسكندرية، ص ص 176-177.

وتعددت أشكال رسمها، إلا أن شكلها التقليدي كان بالأزرق الداكن على هيئة حزمة من الأزهار تتفرغ من المزهرية أو الزهرية.[1](انظر الشكل3 ص103)

-**زهرة الكف السبع وزهرة الأقحوان:** تتخذ زهرة الكف السبع شكلا بسيطا من خمس فصوص صغيرة تشبه آثار الأقدام، واتخذت عدة أسماء منها الكف السبع، الحوذان، كف الهرة،وقد رسمها الفنان بإتقان وحيوية ورسمت في موضع آخر خامسة البتلات تتفرع منها أوراق رفيعة تشبه المخالب، (انظر الشكل4 ص103)، في حين نجد زهرة الأقحوان التي هي ثبات عشب له ساق مضلعة ملساء تنبثق منها أزهار مستديرة أوراقها مجنحة ومسننة،و تعرف أيضا باسم زهرة اللؤلؤ التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل الفنانين العثمانيين، وتزرع هذه الزهرة في أوربا وآسيا وترجع أصولها إلى الصين.[2](انظر الشكل5 ص103)

-**الأشجار:** ونجد منها أشجار السرو التي رسمت بشكل واقعي قريب من الطبيعة رشيقة قائمة لها ساق طويلة، تقف شامخة على جانبي التكوين الزخرفي يتفرغ منها أزهار وأغصان وعقود نصف دائرية ونجدها في جدار القبلة بالجامع الأزرق، كما رسمها الفنان مسنة عبارة عن محور مركزي التي تتفرع منها الأزهار نجدها كذلك في الجوامع مثل جامع الأزرق.

-**زخارف الأوراق:** تعد الزخرفة بالأوراق من أهم العناصر الزخرفية النباتية حيث يستخدمها الفنان ليشغل بها أي فراغ بين الوحدات الزخرفية، وقد اهتم الفنانين العثمانيين بالزخرفة الورقية كمحاولة تمثيل النباتات بصورة قريبة من الطبيعة ومن الأوراق، ومن أهم هذه الأوراق نجد الأوراق الرمحية المسننة وهي ورقة طويلة تشبه الرمح ذات جوانب مسننة، وتعددت أشكالها ورسمت على عدة هيئات مختلفة، إضافة إلى أوراق شجر محورة والتي هي عبارة عن أوراق من ستة فصوص تتفرع من سيقان مقوسة رفيعة تنبثق من ساق غليظة.[3]

[1]-النحاس، المرجع السابق، ص 177.
[2]- موسوس،وسحاب، المرجع السابق،ص178.
[3]- النحاس، المرجع السابق، ص ص 178- 179.

ب/ الزخرفة الهندسية: لم تقتصر الزخارف العثمانية على الزخارف النباتية فقط، بل شملت أيضا الزخرفة الهندسية، حيث تشترك غالبا مع المواضيع النباتية والكتابية لتكون تصميما متكاملا، وتتكون الزخارف الهندسية من الخطوط بمختلف أنواعها المستقيمة والمنكسرة والمنحنية كما تتكون من أشكال متعددة كالمربع والمثلث والمستطيل وكذا المعين والدوائر والأشكال البيضاوية وكذا تتضمن أشكال مضلعة سواءا كانت(سنية أو متعددة الأضلاع)[1].

-**العقود:** وتظهر على هيئة أشكال عقود صغيرة ترتكز على الأعمدة ومكررة في الصف الأفقي، تأخذ شكل المحاريب الصغيرة فتعطي شكلا زخرفيا جماليا والتي يرجع أصلها إلى الفن الساساني الذي استخدم فيه بكثرة ثم انتقل إلى الفن الإسلامي وصولا إلى الفن العثماني.

ج/الزخرفة الحيوانية: غالبا ما كانت ترسم الحيوانات على الخزف وترسم بمفردها أو وهي تعدو وتقفز خلف بعضها. وقد ظهرت رسوم بعض الحيوانات باللون الأزرق في التحف الخزفية ومن بينها نجد الأرانب والعصافير وأسود وغزلان والطاووس، ويلتمس وجود هذه الحيوانات بكثرة في الأطياف واللوحات الخزفية بشكل كبير وهذا ما جعلها قريبة إلى الطبيعة إلى حد كبير.[2]

د/ الزخرفة الكتابية أو الخطية:

الخطوط هي فن من الفنون الزخرفية والخط العربي على غرار باقي الخطوط الذي يعتبر مهم في تسجيل المعارف العلمية إلى جانب دوره الفني والجمالي، فهو من أجمل العناصر الزخرفية التي اعتمدها العثمانيين إلى جانب بقية الخطوط الأخرى، واعتمدت الزخارف الخطية على الحرف العربي لما يحتويه من تعدد في الشكل والرشاقة والتناقص.

[1]-خالد خميس حرفي، البلاطات الخزفية في العمائر العثمانية بالوجه البحري دراسة أثرية فنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية الآثار ، القاهرة، 1427ه/ 2006م ، ص335.
[2]- النحاس، المرجع السابق، ص 189.

والحرف العربي عند الفنان هو وحدة بنائية يتعامل معها بحساسية عالية، فالناظر إلى الزخرفة الكتابية يهتم بالشكل الجمالي الفني أكثر من مدلوله اللغوي، فهو فن يتماشى مع روح العصر ويؤكد أصالة الحرف كقيمة فنية وجمالية متناسقة.[1]

وتشهد الآثار والمساجد التركية على سمو الخط العربي وبراعة العثمانيين فيه ولا يزال للخط نصيب من الاعتناء في تركيا الحديثة، ومن أشهر الحروف أكثر استخداما عند العثمانيين هو حرف " الواو " الذي نجده بشكل واضح داخل المساجد العثمانية وعلى جدرانها.[2]

وأقيمت في السنوات الأخيرة من العهد العثماني " مدرسة الخطاطين " في اسطنبول بغية إحياء الفنون التقليدية وتنشئة التلاميذ في تلك المجالات.[3]

-استخدام الآيات القرآنية:

تعتبر كتابة الآيات القرآنية الميزة التي طرأت على عمارة المساجد خاصة في اسطنبول حيث نجد من أشهر الخطاطين العثمانيين خاصة في عصر محمد الفاتح <<بن صوفة>> الذي كلفة الفاتح باستخدام الزخارف الخطية في تزيين الجامع وكتابة الآيات

القرآنية خاصة البسملة وآية الكرسي في لوحات من الخزف الأزرق وعلى الوجه الخارجي كتبت البسملة وسورة الفاتحة على امتداد ستة نوافذ، وهذا ما نجده في المسجد الذي بناه الفاتح باسمه[4].كما نجد بعض الأحاديث التي كتبت على العمائر والتحف لكنها ليست من

[1]-محمد حسن عيسى الدسوقي،إمكانية تكوين وحدات زخرفية مستحدثة من الخط الديواني،**"مجلة العلوم الإنسانية"**، جامعة الملك عبد العزيز، مج15،المملكة العربية السعودية، 2014م،ص106.
[2]- نفسه، ص 106.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص 756.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص104.

الأحاديث النبوية وإنما كانت عبارة عن أقوال مأثورة عن الصحابة مثل أقوال مالك بن دينار.[1]

3/ الخزف: هو الترجمة العربية لكلمة سيراميك يطلق على كل ما يضع من الصلصال ويحرق ليكتسب صفات الصلابة، فالفخار نوع من الخزف هش غير لامع محروم من الرنين، ويتحكم في صناعة الخزف طابع الفنان في طريقة إبداعه وأدواته وخاماته وتعبيراته الجمالية والفنية.

ولقد عبر الفنان العثماني من خلال الخزف خاصة ذا اللون الأزرق عن دلالات كثيرة مثل خلود الروح والتصوف والسمو والإرتقاء، واستطاع الفنان العثماني أن يكون مدرسة من مدارس الخزف الإسلامي وذلك بفضل مدينة إزنيق وذلك لجودة تربتها المميزة من خلال انتاجها للعديد من الأواني الخزفية ذات جمال ودقة، إضافة إلى الحرفين اللذين استوطنوا المنطقة في عهد السلطان سليم الأول الذين يدعوا في مجال الخزف والصناعة الحرفية.[2]

4_ استخدامات الخزف:

لقد عرف العثمانيين بميزة الاستعمال الكبير للبلاطات الخزفية أو التربيعات القشانية ،ويعود تفضيلهم لهذه الطريقة في زخرفة الجدران إلا أنها اقل تعقيدا في الاستعمال من الفسيفساء الخزفية والتي كان يفضلها سلاجقة الروم.[3]

بالإضافة إلى ذلك كون هذه البلاطات أكبر حجما من الفصوص الخزفية،ووضوح النقوش فيها بشكل كبير،بالإضافة إلى ذلك سهولة عملية تركيبها،وكنتيجة لذلك زاد الإقبال على هذه الطريقة حيث لم تتفوق أي دولة إسلامية على الدولة العثمانية.[1]

---

[1]- شيماء محمد عبد الرافع محمد شرف الدين، الكتابات العربية الزخرفية على المشكوات الخزفية العثمانية بأزنيك (القرن العاشر – الحادي عشر الهجري/ السادس عشر- السابع عشر ميلادي)، **"مجلة جامعة أم القرى بالعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية"**،ج1، ع 71،جامعة عين الشمس، مصر، دس، ص 194.

[2]-النحاس، المرجع السابق، 176.

[3]- محمد عبد العزيز مرزوق،الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د ب، 1987م،ص74.

فالتأمل في هذه العمائر العثمانية يكشف لنا من أن جدرانها تزدان بالبلاطات الخزفية، ذات الأشكال الهندسية المختلفة من نجوم،ومسدسات،ومثمنات،والبعض خالي من هذه الزخرفة والأخر مزين بالزخرفة النباتية والزخرفة الكتابية، بالإضافة إلى كون بعضها من لون واحد والأخرى كانت بعدة ألوان.[2]

5-ألوانــه:

امتاز الخزف العثماني بالدقة في اختيار ألوانه، حيث كان يراعي فيها الفنان التناغم والتطابق بين عناصر المجموعة اللونية المستخدمة في التلوين العناصر الزخرفية، علاوة على التناغم والانسجام العناصر الزخرفية التي تتكون منها التصميمات، وقد شاع استخدام اللون الأبيض كأرضية لمعظم المنتوجات الخزفية، حتى يعمل على إبراز وتوضيح باقي مختلف الألوان الأخرى المستخدمة في الزخرفة[3].

وقد لعبت الألوان في المدرسة العثمانية التركية الخاصة بالخزف دورا هاما وعظيما لا يمكن أن نغفله فقد استخدم العثمانيين أسلوب تعدد الألوان في زخرفة منتجاتهم الخزفية والذي يعد أول ابتكار قدمه العثمانيون لهذا الفن ولعل من أبرز الابتكارات التي جاءت بها المدرسة العثمانية الخاصة بالخزف هو الخزف المرسوم تحت الطلاء باللونين الأبيض والأزرق.[4]

وفي عهد السلطان سليمان القانوني سعى إلى تجديد زخرفة الجدران وظهور لمسات بسيطة من اللون الأحمر، الذي لعب دور هام في الخزف العثماني بشكل يدعوا للدهشة والإعجاب.[5]

---

[1]- مرزوق المرجع السابق،ص74.
[2]- نفسه، ص75.
[3]- حرفي، المرجع السابق، ص 347.
[4]- نفسه، ص 349.
[5]- موسوس، وسحاب، المرجع السابق، ص48.

ونستخلص أن العمارة العثمانية لقت اهتمام كبير من قبل السلاطين العثمانيين،وأنها تميزت عن غيرها من عمارات الأمم الأخرى خاصة من ناحية أنها مدنية بدرجة أولى ،بالإضافة إلى تنوعها مابين ثقافية، دينية، مدنية، عسكرية، وكذلك اختلاف خصائصها ومميزاتها من ناحية الشكل المعماري وناحية الشكل الزخرفي.

المبحث الثاني: سنان باشا ومدرسته

المطلب الأول: حياته ونشأته

المطلب الثاني: مدرسة سنان باشا

المطلب الثالث: أوقاف سنان باشا وإسهاماته في البلاد العربية

1/حياته ونشأته:

عرفت الدولة العثمانية في مجال الفن المعماري عدة معماريين كبار، شهدت عليهم العمارة العثمانية كان أبرزهم المعماري العثماني سنان باشا والذي كان له دور كبير في تخليد حضارة العثمانيين، والذي عرف فيما بعد من كبار شخصيات الدولة العثمانية.

أ/ مولده:

ولد سنان[1] باشا[2] (انظر الملحق2 ص104) في قرية أغرناس في قيصرية سنة 1489م[3]، في وسط الأناضول في عهد السلطان بيازيد الثاني (1481- 1512م)، من أبوين نصرانيين، وقد حاول بعض الباحثين الغربيين أن يجد له أصلا يونانيا، ومنهم روبرت "أرك وولف" الذي يقول أن اسمه الأصلي كريستو دولو (shristodoulou) وهو ليس مسيحي المولد فحسب، بل الأكثر إلفاتا في الأمر هي الصبغة اليونانية الغالبة على ثقافته الفنية والتقنية والحس الجمالي وفوق كل ذلك تمسكه بالتراث المعماري الإغريقي الذي خلده لاحقا في أعماله.[4]

بالإضافة إلى ذلك نسب المعماري سنان إلى النمسا، حيث أشارت بعض المصادر أنه نمساوي الأصل وقع في أسر العثمانيين وجيء به إلى اسطنبول وأسلم وعمره 23سنة، وكان والده يدعى عبد المنان بن عبد الله ويبدوا أن هذا الاسم حصل عليه بعد أن دخل

---

[1]- سنان: اسم عربي من بين فحل الإبل، وفي القرن السادس عشر حمل اثنان من أعلام الدولة العثمانية الاسم واللقب نفسه " سنان باشا "، أولهم رائد العمارة العثمانية والآخر قائد لامع وسياسي عرف بدهائه ونجح في أن يصبح الرجل الثاني في الدولة. للمزيد أنظر: مقالات قصة الإسلام، سنان باشا..رائد العمارة العثمانية، الدستور الأصلي 27- 08- 2010م،16-4-2020،سا:21.30،https:// islamstory. com

[2]- باشا: معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه ثم صار معناها مستخدما، واستخدمت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات وأخيرا أصبحت أعلى لقب شريفي في الدولة.للمزيد انظر:حلاق،وصباغ،المرجع السابق،ص34.

[3]- ياوز بهادر أوغلو، السلطان سليمان القانوني، تر: مصطفى حمزة، وريمة كوسة، ط1، شركة دار مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 2016م، ص367.

[4]-علاوي،المرجع السابق، ص 234.

الإسلام. والأرجح كما أشارت أغلب المصادر أنه من عائلة نصرانية في الأناضول اعتنقت الإسلام[1].

ورغم الاختلاف في أصل سنان، إلا أن الاتفاق حاصل على أنه انضم للجيش الانكشاري[2] عندما كان السلطان سليم الأول يستعد لحملة يشنها على الشاه إسماعيل الصفوي[3]. أي أنه كان واحدا من الذين احتضنتهم الدولة العثمانية وقامت برعايتهم وتعليمهم[4]ضمن مجموعة الفتيان المسيحيين الذين جندوا في الجيش العثماني فيما يسمى بالدفشرمة[5]عام 1512م[6].

ب/مشواره الدراسي:

التحق بمدرسة عسكرية ابتدائية تسمى مدرسة "عجمي أو غلانلر"، وفيها تعلم القراءة والكتابة والفنون التطبيقية[7]، ثم كان عليه أن يختار فنا من الفنون ليختص به فاختار قسم التجارة ، حيث وجد أن هذه المدرسة تحقق طموحه في الحصول على أعلى الوظائف في الدولة، وقد كان انضمامه إلى هذه المدرسة متماشيا مع طموحاته ورغباته وليس قسرا كما ذكرت بعض المصادر[8].

---

[1]-علاوي،المرجع السابق، ص235.

[2]- الجيش الإنكشاري: بمعنى القوات الجديدة مصدرها الدرويش حاج بكتاش ولي، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشر من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا، في وقت معين من السنة. للمزيد أنظر:صبان، المرجع السابق، ص41.

[3]- حرب، المرجع السابق، ص158.

[4]- علاوي، المرجع السابق، ص235.

[5]- الدفشرمة: مصطلح يعني أخذ الأطفال وجمعهم من الأقطار المحيطة بالدولة العثمانية، فتقطع أي صلة بينهم وبين ذويهم، ويتم إدخالهم في الإسلام، لذلك لم يكن لدى هؤلاء أي عاطفة أبوية أو وطنية، حيث تم تربيتهم في قصر السلطان ثم يوجهون إلى المدرسة، وقد أطلق عليهم في التاريخ العثماني (أندرون أوغلاناري) أي غلمان البلاط، للمزيد أنظر : صوفيا محمد سعيد البنا، فرقة الإنكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية، إبتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م،ص ص11-12.

[6]- موسوس وسحاب، المرجع السابق، ص45.

[7]- حرب، المرجع، ص158.

[8]- علاوي، المرجع السابق، ص235.

بالإضافة إلى ذلك احتواء المدرسة التي انتمى إليها المعماري سنان على الكثير من التخصصات، ففي هذه المدرسة كان هناك أجواقا[1] خاصة بمعماري الخاصة[2] السلطانية ويقع في القسم المعروف ب(البيرون)[3] الموجود في السراي، ويقوم على تنشئة المعماريين الذين يتولون بناء العمائر الضخمة في الدولة[4].

وكان المنظمون في تلك المدرسة يحصلون على رواتب صغيرة، وكانت تبدأ تنشئتهم تحت إشراف كبار المعماريين ومساعديهم، وبعد تخرجهم من المدرسة يترقون في المناصب حسب كفاءتهم وقابليتهم إلى أن يصلوا درجة (سر معماري الخاصة السلطانية)، وبالإضافة إلى ذلك كانوا يتلقون معارف نظرية على غرار التطبيقات العملية، وكان ذلك الأوجاق هو مدرسة العمارة التي تربى فيها سنان وغيره من المعماريين.[5]

إذ تدرب المعماري سنان أثناء وجوده في هذه المدرسة على يد المتخصصين العسكريين، وعمل تحت إشراف هؤلاء عاملا معماريا في بناء الجوامع والحمامات وسبل المياه[6] والخانات[7]، حيث كان منذ صغره مولع بشق قنوات المياه في الحدائق وبناء الأكواخ وحظائر الحيوانات. والجدير بالذكر أنه كان كل من يريد أن يصبح كبيرا للمهندسين المعماريين يدرس في تلك المدارس، بالإضافة إلى امتلاكهم خبرة في مهن أخرى قبل أن

[1]- أوجاقocak: كلمة تركية لها عدة معان، كل ما تنفخ وتشعل فيه النار من طين أو قرميد أو حديد، وأطلق على الجماعة التي يتلقى أفرادها في مكان واحد، ثم أطلق على مجتمع أو باب الحرف، كما أطلق كذلك على الصنف من الجند، كالسباهية، وهم فرق من العساكر في الجيش الإنكشاري، للمزيد أنظر: صبان، المرجع السابق، ص42.

[2]- الخاصة Hassa : المصطلح الذي يطلق على من يعمل في خدمة السلطان أو في قصوره، للمزيد أنظر: نفسه، ص94.

[3]-البيرون: تعبير عن التشكيلات الإدارية للقصر، وهي كلمة فارسية تعني خارج، وكان يطلق في الدولة العثمانية على الخدمات الخارجية للقصر، وكان بيرون قصر طوب قابي، ويسمى ما يقع بين الباب الهمايوني وباب السعادة ويشمل الموقع الأول والثاني. للمزيد أنظر: نفسه، ص69.

[4]- علاوي، المرجع السابق، ص235.

[5]-نفسه، ص236.

[6]- حرب، المرجع السابق، ص158.

[7]- الخانات: مفردها خان تعني النزّل، الفندق، المقر المؤقت للتجار الأجانب وتجارتهم، وقد شاعت هذه الأماكن كثيرا في العهدين المملوكي والعثماني بمصر وبلاد الشام. للمزيد أنظر: حلاق وصباغ، المرجع السابق، ص80.

يعهد إليهم ببناء مشروع كبير، ولهذا كان لها أثر في بروز كبار المعماريين وسنان كان من بينهم.[1]

ج/ نشاطاته العسكرية والفنية التي أبرزت موهبته:

إن بروز موهبة المعماري سنان اتضح بشكل كبير في عهد السلطان سليم الأول، إذ شغل في حياته عدة وظائف عسكرية، حيث أصبح ضابطا في فرقة المشاة ثم في سلاح الهندسة، وحصل على مكانة كبيرة داخل الجيش العثماني لجهوده في وضع تصميمات البناء لمراكز وتجمعات الجيش العثماني وإنشاء الجسور والقلاع والحصون الحربية.[2]

وبهذا أتيحت الفرصة لسنان أن يطلع على الأعمال المعمارية من تراث الأمم الأخرى غير العثمانية ، سواء كان ذلك أثناء وجوده في الأناضول أو استانبول حيث شاهد في كل منهما الآثار البيزنطية والآثار السلجوقية وفن عمارتهم.[3]

لكن الذي أثرى وأنمى التجربة الفنية لسنان هو اشتراكه في الحروب العثمانية في الشرق والغرب.[4] والتي أتاحت له فرصة الإطلاع على تراث الأمم المسلمة وغير المسلمة على حد السواء، وذلك بالعودة إلى عصر سليم الأول وتحديدا في موقعة جالديران 1514م فقد كان المعماري سنان سنان باشا ضمن الجيش العثماني ، ففي أعقاب دخول الجيش العثماني إلى تبريز شاهد سنان المباني المعمارية فيها[5]، والتي شدت انتباهه لخصائص الفن الإيراني.[6]

[1]- علاوي، المرجع السابق، ص238.
[2]- نفسه، ص235.
[3]- حرب، المرجع السابق، ص158.
[4]- نفسه، ص159.
[5]- علاوي، المرجع السابق، ص237.
[6]-. حرب، المرجع السابق، ص158.

كما رافق الجيش العثماني عند دخوله حلب ودمشق حيث جذبت الطرز المعمارية اهتمامه، وفي القاهرة وجد العمارة المملوكية المعروفة بضخامتها وبهائها، بالإضافة إلى زيارته لأهرمات القاهرة، وقد كان تواجده الدائم مع الجيش الإنكشاري بصفته مهندسا عسكريا.[1]

وفي عهد السلطان سليمان القانوني تخرج من مدرسة (عجمي أوغلانلر)[2] وأصبح انكشاريا فنيا واشترك في الحملات العثمانية على أوروبا، وبهذا ظفر عهد القانوني والذي يطلق عليه العصر الذهبي للإمبراطورية العثمانية بأحد قمم العالم وعباقرته، وهو المهندس المعماري سنان باشا والذي حظي بتقدير السلطان بعد أن أقام جسرا عبر الدانوب.[3]

بالإضافة إلى ذلك كان شاهدا على روائع العمارة اليونانية في رودس و بودابست التي تجول في كنائسها واطلع على فنون المجر المعماري[4]، وفي العراق كانت له فرصة الاطلاع على ما بقي من مجد بغداد،بالإضافة إلى ذلك مرافقته لخير الدين بربروس[5] عندما كان يجوب السواحل الإيطالية والمغربية مما أتاح له فرصة الإطلاع على تراثها المعماري، وصحب في أحد جولاته هذه[6]، قمة زمانه في الفتوى الشيخ أبو السعود أفندي.[7]

---

[1]- علاوي المرجع السابق، ص238.

[2]- مدرسة " عجمي أوغلانلز"، تعني مدرسة الغلمان من أصول غير إسلامية، ويتم في هذه المدرسة تدريب الغلمان على قوة الاحتمال فضلا عن علوم أخرى، ومن هناك يتم اختيار الوظائف التي سيقلدونها مستقبلا طبقا لمقدراتهم. للمزيد أنظر: هاملتون جب وهارولد بووت، المجتمع الإسلامي والغرب وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى، تر: عبد الرحيم مصطفى،ج1، دن، القاهرة، 1971، ص-ص 83-84.

[3]- الصفصافي، المرجع السابق، ص106.

[4]- حرب ،المرجع السابق، ص159.

[5]- خير الدين بربروس:ولد سنة 1486م اشتغل بالتجارة ثم التحق بأخيه عروج بتونس حيث عمل معه على تحرير بجاية وسواحل الجزائر وعين بيلربايا على الجزائر بعد موت أخيه، توفي بعد مرضه سنة 1546م. للمزيد أنظر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص34.

[6]- علاوي، المرجع السابق، ص236.

[7]- أبو السعود الأفندي:محمد بن محي الدين محمد،هو فقيه وقاضي مسلم،تولى عدة مناصب منها شيخ الاسلام،صادق على "قانون نامة" للقانوني،لقب ب "خطيب المفسرين".للمزيد انظر:عاشقجلبي،ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية،تحوتق:عبد الرازق بركات،دار الهداية،القاهرة،2007م،ص128.

أبدى المعماري سنان باشا شجاعته في الحملات العسكرية التي شارك فيها، بالإضافة إلى ذلك أظهر براعة خاصة من خلال إقامته لعدة جسور كان أحدها على نهر الدانوب[1] زاد من الإعجاب به وكان هو الدعامة التي قامت عليها شهرته، كما اشترك في حصار فيينا عام 1529م بوصفه رئيسا لفرقة المهندسين[2]، غير ذلك أظهر براعة خاصة في الحرب على بلاد فارس عام 1534م، ضمن قوات لطفي باشا[3]الصدر الأعظم عندما ابتكر زوارق لعبور بحيرة " وان "[4].

ونتيجة لذلك نال ترقيات كبيرة في وقت قصير حتى وصل إلى رتبة " رئاسة الحسكي" التي كانت من أعلى مراتب الإنكشارية. فقد كانت النجاحات التي أظهرها في المجال المعماري في الحملات أحد الأسباب الرئيسية لتأمين الانتصارات للعثمانيين.[5]

بعد أن توفي كبير معمار الدولة العثمانية عجم علي، إقترح الصدر الأعظم لطفي باشا تعيينه " كبير معماريين الخاصة السلطانية "، لأنه كان يدرك قابليات سنان ومواهبه[6]، وهكذا كان اختياره كبير للمهندسين من قبل السلطان سليمان القانوني[7]، أي حصول سنان على لقب" سر معماران خاصة "[8]، وبالتالي أصبح المعماري سنان هو المسؤول عن إقامة الأعمال المعمارية من قصور ومدارس ومطاعم خيرية وسبل للمياه وأضرحة وحمامات

[1]- نهر الدانوب:يلقب بنهر العواصم لكونه يمر في فيينا وبراتيسلافا وبودابست وبلغراد،ويحاذي 10دول اوروبية،يتكون من التقاء نهرين هما بريج وبريجش اللذين ينبعان من الغابة السوداء في المانيا.للمزيد انظر:ويكيبيديا،دانوب،ويكيبيديا،3-03-2020م :سا18،50، /https://ar.m.wikibedia.org/wiki.

[2]- علاوي ، المرجع السابق، ص238.

[3]- لطفي باشا:التحق بنظام الدفشرمة،حتى أصبح سائسا للخيول،دعمته السلطانة "خرم" حتى دخل ديوان الدولة و أصبح وزيرا،ارتقى منصب الصدارة العظمي سنة 1543م.للمزيد انظر:احمداق كوندوز،وسعيد أوزتوك،الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضيح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية،وقف البحوث العثمانية،استنبول،2008م ص ص347-350.

[4]- بروكلمان، المرجع السابق، ص456.

[5]-طوباش، المرجع السابق، ص440.

[6]- علاوي ، المرجع السابق، ص237.

[7]- الصفصافي، المرجع السابق، ص108.

[8]- طوباش، المرجع السابق، ص439.

وبيوت وغيرها، أي أنه كان مسؤولا عن كل الأعمال المعمارية بالعاصمة استانبول وفي كل أرجاء الدولة العثمانية.[1]

وبناء عليه بدأ عصر العجائب المعمارية التي نشرت القباب في المدن في حالة من التجليات الإلاهية في العمارة العثمانية، وقد أسس المعماري سنان تلك الآثار العظيمة الفخمة بعضها تلو بعض بفكرة لم يشاهد مثيل لها من قبل خاصة جامع شهرزادة وجامع السليمانية وجامع السليمية، لتجعل من استانبول استانبولا جديدة بعد الفتح[2]. وبهذا أكسب العمارة العثمانية أسلوبا جديدا يتفق مع الروح التركية الإسلامية، لأنه أسس أماكن العبادة بأسلوب مزج بين الروحانية والعظمة التي تلفت الانتباه[3].

ليس ذلك فقط فقد كانت مسألة هندسة المياه للمعماري سنان مهمة بقدر هندسة الجوامع والأبنية الأخرى التي أسسها، إذ سمى الحضارة العثمانية بحضارة المياه، فعلى سبيل المثال بعد أن تم حل مشكلة المياه في استانبول لم تنسى الدولة العثمانية الأراضي المقدسة، حيث أمرت " مهرماه سلطان" ابنة السلطان القانوني المعماري سنان بأن يقوم بترميم مجاري مياه " عين زبيدة " وبذلك أزيلت مشكلة المياه عن الحجاج وعن أهالي " مكة المكرمة "[4].

عاش المعماري سنان ما يقارب المائة سنة حياة حافلة بالإبداع، وغير ذلك معاصرته لخمسة سلاطين للدولة العثمانية هم بيازيد الثاني وسليم الأول وسليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث ومراد الثالث،توفي عام1588م، دفن سنان في الضريح الذي أقامه لنفسه في جامع السليمانية وبتخطيط يختلف تماما عن كل ما عمل، فهو ضريح[5] مكشوف تلتقي

[1]- حرب، المرجع السابق، ص106.
[2]-طوباش، المرجع السابق، ص442.
[3]- طوباش، المرجع السابق، ص 443.
[4]-طوباش، المرجع السابق، ص443.
[5]- ضريح:والجمع ضرائح،وهوالقبر،او الشق الذي يجعل وسط القبر،ويقال أيضا ضريحة. للمزيد انظر:المعاني،مصطلحات فقهية،المعاني الجامع،3-09-2020م
سا:06،18.ضريح/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

جدرانه بزوايا حادة مع وجود سبيل[1] في أحد أركانه بالإضافة إلى إشرافه على الطريق من خلال عقود مدببة و علوه بقبة رمزية صغيرة[2].

ترك المعماري سنان لتلاميذه تراثا معرفيا ضخما في البناء والعمارة والذين ساروا على نفس خطاه منهم محمد آغا ،وكمال الدين، وداود آغا، ويتيم بابا علي، ويوسف، وسنان الصغير.[3]

2/ مدرسة سنان باشا:

1/ التعريف بمدرسته: تقلد المعماري سنان منصب وزير الإعمار في الإمبراطورية العثمانية ونظمها بموجب ذوقه الفني والهندسي، واكتسب المعماري سنان طراز معماري فريد من نوعه وأسلوب كلاسيكي في غاية الروعة[4]، وهذا ما مكنه من تأسيس مدرسة تحتل الصدارة العظمى في الفن والعمارة، والتي كانت نتاج لكل مؤثرات مشاهداته لتراث الأمم التي زارها. مثل تأثرها بآيا صوفيا التي ولدت لديه إصرار وتحدي في انجاز أدق صنعا وأكثر روعة منها، وانتهت تحريات المعماري سنان إلى تكوين مدرسته المعمارية، من أوائل القرن 16 إلى غاية الربع الأول من القرن 18م[5]. وامتد نفوذها حتى الجزائر والهند وأعاد سنان التفكير والتأمل في ظل المتطلبات للمساجد الإسلامية، وقام بتطويرها هذه النظرية بصورة أكبر باستخلاصه كل التغيرات والاختلافات الممكنة والمسموح بها إلى مستوى الكمال الفني داخل وخارج المبنى المعماري.[6]

[1]- سبيل: هو مكان عام للشرب جعل ماؤه لسقاية عابري السبيل. للمزيد أنظر: محمود فتوح محمد سعدات، الفضائل النفسية والاجتماعية والقيمية لبناء الأسبلة المائية الوقفية الخيرية، ج1، ط2، الهدى للطباعة، 1436ه، ص28.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص246.
[3]-نفسه، ص247.
[4]- أوزتونا، المرجع السابق، ص 540.
[5]- علاوي، المرجع السابق، ص ص 238، 240.
[6]- نفسه، ص238.

2/ مميزات مدرسته:

لقد أعطت الحضارة العثمانية الصدارة للعمارة، فهي عمارة تتميز بحسن تنظيم المكان وتوازن الكتل وتملك قيمتها الخاصة.[1] وتتجلى هذه الصدارة في مدرسة المعماري سنان الفنية والقواعد والأصول التي أسست عليها وما أدخلته من ابتكارات على نظام البناء الذي كان سائدا أنذاك[2].

فالمعماري سنان شخصية عبقرية فنية ندر الوجود منها، فمدرسته الفنية تشهد بالأصالة والجمال وتنوع المدهش، فمعرفته العميقة بتكتيك الهندسة وفهمه العلي للفن قد مكنه من إضافة أشكال جديدة ضمن مدرسته والفن المعماري عامة، وجعله يتمكن من إيجاد نماذج تكتيكية (تقنية) لم يعرفها سابقوه. ويكفي تناوله لجزيئات صغيرة في عمله الفني كالمحراب أو الباب وفحصها ودراستها حتى يتبين لنا قدرة وعظمة هذا المعماري.[3]

ولقد أبرز الترك أسلوبا جديدا في فن العمارة يخالف العمائر الموجودة آنذاك، فالمباني التي شيدها المعماري سنان باشا ليست مطلقا أقل من آثار عهد النهضة المعمارية في أوروبا.[4]

وأظهر المعماري سنان براعة لا نظير لها في استخدام القبة واهتمامه الكبير بالشكل الداخلي للبناء، حيث يظهر ذلك من خلال استخدام المعماري سنان في تخطيطه لمسجد السليمية قبة على قاعدة مثمنة ومحمولة على ثمان دعامات قوية بلغ بها أبعد مراحل

[1]- فتيحة فرحى، المساجد والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2016/ 2017م، ص70.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص233.
[3]- حرب، المرجع السابق، ص167.
[4]- بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، ط1،دن، مصر، 1434ه/ 2013م، ص ص 103، 104.

التطور، وأصبح التخطيط المثمن بعد ذلك هو الأسلوب المتبع في تشييد المساجد والقصور لسنوات عديدة.[1]

طريقة استخدام المعماري سنان للعناصر المعمارية كالقوس والعمود بشكل رائع بحيث تجاوز طريقة توظيفها كعناصر استثنائية شكلية فقط إلى عناصر جمالية، فقد أخفت استعمالاته تلك حجم الأساطين الضخمة في المبنى وكذلك أنصاف القباب المحيطة بالقبة المركزية بحيث أظهرت دورا إجماليا مضافا إلى دورها التقني.[2]

3/ عبقرية المعماري سنان في التغلب على هباب المصابيح:

كانت المساجد قبل الكهرباء تضاء بمصابيح الزيت الذي ينتج منه سخام أو الهباب الذي يغطي الجدران بسواده، فقد استحدث المعماري سنان جمع هذا السخام عبر وضع فتحات صغيرة أسفل في جامع السليمانية وجعلها باتجاهات مختلفة ليتمكن من الحصول على نبار صاعد يجذب وراءه السخام المتصاعد من القناديل البالغة آنذاك 275 قنديلا، فيجمعه عبر هذه الفتحات في مكان معين للاستفادة منه في صناعة الحبر[3].

ولهذا الغرض قام المعماري سنان بحسابات هندسية دقيقة، فأنشأ غرفة فوق المدخل الرئيسي لجامع السليمانية، ثم وضع فيها العديد من المصافي، حيث ضمن من خلالها امتصاص السخام المتصاعد من القناديل، وبعدها أخذ هذه المصافي وغمسها في الماء فذاب السخام وتحول إلى حبر. وبهذه الطريقة وفق العبقري سنان في اجتياز مشكلة تراكم السخام على نقوش الجامع ونجح في حماية الجدران من السخام الناتج وتوفير الحبر.[4]

[1]- علاوي، المرجع السابق، ص ص 239، 240.
[2]-نفسه، ص239.
[3]-البسيوني،المرجع السابق، ص ص 46، 49.
[4]- نفسه، ص 50.

كما أدخل المعماري سنان قوانين خاصة بمدرسته المعمارية وضوابط في البناء، إذ أوجد اهتمام كبير بالأثر المعماري من الناحية الجمالية حيث تهدم فورا الأبنية التي تقترب من الجامع مسافة أقل عن 5 أذراع، إضافة لا يجوز لأي بناء الاقتراب من آيا صوفيا مسافة 35 ذراعا من جميع جهاته،بالإضافة إلى هدم البيوت التي تقترب من أسوار اسطنبول مسافة 5أذرع من الداخل والخارج إذ قام سنان بصيانتها وإصلاح أجزاء منها.[1]

ولقد انتشر طراز سنان في تركيا واستمر أسلوبه يتبع في العمائر التي شيدت بعد موته[2]. ولقد لقي المعماري سنان اهتمام لدى المؤرخين خاصة والعمارة الإسلامية عامة.[3]

حقيقة أن الآثار التي بدأت مع العثمانيين وزينت وجه الإمبراطورية بشكل لم يكن له مثيل،كانت قد ازدهرت على يد المعماري سنان ،فقد وضع منهج يتم السير عليه في تلك الآثار، وهو بناؤها على هضبة أو مكان مرتفع يطل على المدينة ،وقد اكسب المعماري سنان باشا الذي نجح بدرجة كبيرة في هذا الشأن العمارة العثمانية أسلوبا يتفق مع الروح التركية الإسلامية ،فأسس أماكن للعبادة بأسلوب يمزج بين الروحانية و العظمة التي تلفت الانتباه.[4]

كما أن إبداع المعماري سنان باشا لم يقتصر على عمارة المساجد والقصور فقط، بل أبدع في إنشاء الأسبلة وابتكار صنابير المياه،لان هندسة المياه كانت بالنسبة لسنان مسالة مهمة بقدر هندسة الجوامع والأبنية الأخرى، إذ سمى حضارتها بحضارة المياه،حيث يعتبر المجرى المائي الذي جلبه سنان إلى اسطنبول واحد من أهم أعماله إذ استخدم كافة أنواع التقنيات والعلوم في عصره.[5]

---

[1]- أوزتونا، المرجع السابق، ص 540.
[2]- نعمة إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط6، دار المعارف، القاهرة، ص 346.
[3]- محمد الأرناؤوط، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر " وقفية سنان باشا "، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1993م، ص 13.
[4]-طوباش،المرجع السابق،ص442.
[5]-نفسه، ص ص442-443.

ونتيجة للعبقرية التي تميز بها المعماري سنان فقد ذاع صيته وأصبح مسؤول عن إقامة الأعمال المعمارية من قصور وحمامات ومدارس في أرجاء الإمبراطورية بل وتعدى حدودها[1]،إذ شيد بالقاهرة أعمارات خيرية فضلا عن الحمامات و التكايا وكان المسجد هناك على الطراز التركي،[2] مثل جامع السلطان سليمان الخيري في دمشق وغيرها من المنشات[3]، كما اشتهر المعماري سنان بالأعمال الخيرية في الكثير من البلدان على غرار بناء المساجد، وكذلك ربط التكايا وقد اشتهر بهذه الخاصية أينما حل ووجد.[4]

ولقد تفوق المعماري سنان عن العمارة البيزنطية،لاهتمامه بالأجزاء الخارجية للأبنية على عكس الفن المعماري البيزنطي الذي تشكل فيه الأجزاء الخارجية منظرا غير متناسق، وكمقارنة مع آيا صوفيا التي تعتبر مثال الفن البيزنطي وبين جامع السليمانية للمعماري سنان،حيث يتبين ويتضح من الوهلة الأولى الفرق الكبير بين الفن البيزنطي والعثماني، وذلك من خلال منظر آيا صوفيا الذي يفقد الاتساق الخارجي والأناقة على عكس جامع السليمانية الذي يبدو متسقا وأنيقا،[5]فهو يستوقف الأنظار بنقوش المدهشة بألوان الصباغ وألوان القاشاني عليها ،كعقد منشور أو بساط من الزهر مفروش كما وصف الرحالة أوليا جلبي في إحدى المساجد المصرية.[6]

ولقد اعتبر المعماري سنان القبة الكبيرة في المسجد رمزا للنبي عليه الصلاة والسلام وانعكاس القران الكريم،والأدعية التي تقال في الجامع إنما هي مثل الرسول عليه الصلاة

[1]-حرب،المرجع السابق،ص160.
[2]-أوليا جلبي سياحتنامة،تر:محمد علي عونى،تح:عبد الوهاب غرام،تق:احمد فؤاد المتولي،ط1،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،2016م،ص ص339،338،
[3]-حرب، المرجع السابق،ص161.
[4]-رابحة محمد خيضر الجبوري،القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م،**"مجلة جامعة كريت للعلوم الإنسانية"**،م 18،العدد 1،ص353.
[5]-حرب،المرجع السابق،ص163.
[6]-إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري المدني،رحلة الخياري "تحفة الأدباء وسلوه الغرباء"،تح:رجاء محمود،ج1،دط،دس،ص242.

والسلام في تبليغه الأوامر التي أخذها من الله تعالى إلى المؤمنين،والتناغم الموجود بين القباب الكبيرة والصغيرة في هذا المعنى يداعب الأرواح.[1]

ولم يكن المعماري سنان يركز على فعاليات الإنشاء الجاف فحسب بل كان ينقش شخصية فريدة للعمارة الإسلامية لا مثيل لها إلى اليوم،بالإضافة إلى ذلك كان يختار كل المستلزمات المستخدمة في البناء بالشكل الذي سيجعلها تقاوم كل العصور،ولم يكن من الناحية الاقتصادية فقط بل أيضا من الناحية الإبداعية.

وكذلك كان المعماري سنان يتميز بميزة حسن استغلال الوقت بشكل صحيح، فطول حياته لم يكن يبدأ في تأسيس عمل بمجرد الانتهاء من أخر، بل كان يباشر عدة أعمال في وقت واحد.[2]

3/تلاميذ سنان واستمرار مبادئه المعمارية:

كان للمعماري سنان تلاميذ كثيرون انتشروا في العالم الإسلامي وشيدوا عدة أعمال هامة،مثل المعمار يوسف الذي شيد أعمالا عظيمة في الهند، بالإضافة إلى تأثيره بفنانين اخزين، ومثال عن ذلك جامع اسكندر باشا في القاهرة ذا الطراز العثماني والذي تم بناؤه على نفس خطة بناء سنان لمسجد رستم باشا باسطنبول.[3]

كما أشرف المعماري سنان على المهندسين في الإمبراطورية وكانوا من أهم الشخصيات الفنية في عصره،وأشهرهم المعمار "داوود أغا" الذي بنى الجامع الجديد"يني جامع" في اسطنبول وهو اثر معماري فخم،وكذلك نجد المعمار "محمد أغا الصد فكار"

[1]-طوباش، المرجع السابق،ص447.
[2]- نفسه،ص450.
[3]-حرب،المرجع السابق،ص167.

والذي بنى جامع السلطان احمد المشهور "بالجامع الأزرق"،بالإضافة إلى المعمار "قرة شعبان أغا"،وكذلك إشرافه على جميع الصناع والنجارين والبنائين في الدولة العثمانية.[1]

3/أوقاف سنان باشا وإسهاماته في البلاد العربية

أولا: أوقافه

يعتبرالمعماري سنان باشا أعظم مهندس تركي أرسى قواعد الفن العمارة التركية[2]. وإلى جانب اهتماماته المعمارية فقد برز جانب آخر من اهتماماته وهو الوقف[3]، الذي كان يقدم من خلاله المساعدة الاجتماعية، ويروى أنه مات مديونا بسبب هذا الكرم المفرط في هذا الجانب، وذلك لأنه عاش في عهد أعطى أهمية كبيرة للوقت في سبيل الله[4].

ولهذا نجد أن المعماري سنان أسس الكثير من الأوقاف وقام بالعديد من الخدمات الخيرية، حيث كان يمثل نموذجا وقدوة في ذلك، و وجود مدرستين ضمن هذه الخدمات الخيرية التي أسسها و استراحة في وقفية هاتين المدرستين، وكذلك عملية إكساء الطلاب الأيتام الذين يدرسون، إنما هو دلالة واضحة على القيمة التي أعطاها المعماري سنان للعلم والعرفان.[5]

ومنذ أن فكر الخيرون من الناس في توفير المياه اللازمة للشرب بصفة دائمة ووضعها في الأحياء والطرقات، جاءت عمارة السبيل لتقدم هذين القرنين[6]. لذلك قام المعماري سنان بوضع وقف في قريته الذي كان عبارة عن سبيل للمياه. وكذلك بوقف ساحة

---

[1]- حرب، المرجع السابق،ص160.

[2]- منير البعلبكي، معجم الأعلام المورد<< موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين>>، دار العلم للملايين، بيروت، ص243.

[3]- الوقف: لغة: هو الحبس مصدر قول وقف الشين أي حبسه ومنه وقف الأرض أو المبنى أو المزرعة على الفقراء والمحتاجين، للمزيد أنظر: محمد شوقي إبراهيم مكي، رسائل حول الوقف، ط1، (1442ه- 1999م)، الرياض، ص6.

[4]- طوباش، المرجع السابق، ص468.

[5]- نفسه، ص468.

[6]- محمود حامد الحسين، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (1517- 1798.)، ط1، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1997م، ص

واضحة من أجل راحة الدواب التي تأتي للشرب في هذا المكان، وهذا يظهر أن خدمة سنان مزينة بالرحمة والشفقة التي لم تهمل حتى الحيوانات.[1]

ولقد عمل المعماري سنان حتى آخر لحظة في حياته على تأسيس الخيرات والمطاعم الخيرية في كل ركن من أركان الدولة العثمانية، وذلك حتى يجلب الطمأنينة والسكون للمؤمنين، حيث كان يوجد في تلك الأبنية التي شيدها المعماري سنان و التي كان يستفيد منها كل شخص في الدولة العثمانية مشاعر بتكامل الشخصية الإسلامية التي جسدها في منشآته، ورغبة منه في بناء آثار تبقى ما دامت الدنيا باقية والتي تستفيد منها كل فئات المجتمع[2].

بالإضافة إلى ذلك أظهر سنان جهودا كبيرة في سبيل اعتناق النصارى للإسلام،خاصة من أقربائه في بلده وخصص لمن أسلم منهم راتبا من وقفه أثناء حياتهم.[3]

ثانيا: إسهاماته في البلاد العربية

كان لدى العثمانيون مهندسين معماريين ذو خبرة واسعة زارو الوطن العربي، وكان المعماري سنان على رأس القائمة فقد زار سنان جميع الأقطار العربية ودقق في الآثار العمرانية منذ العصور الغابرة إلى عصره التي ما زالت قائمة والتي اندثرت.[4]

ولقد أنشأ المعماري سنان العديد من الأبنية في البلاد العربية نذكر منها جامع خسرو باشا (جامع خسروية) في حلب، وكذلك نجد جامع ومطعم السلطان سليمان الخيري في

[1]- طوباش، المرجع السابق، ص468.
[2]-نفسه، ص467.
[3]- نفسه، ص469.
[4]-أوزتونا، المرجع السابق، ص539.

دمشق، بالإضافة إلى ترميم قباب الحرم المكي، وإنشائه مطعما خيرا باسم خاصكي سلطان[1] وحماما بنفس الاسم، وكذلك أنشأ في المدينة المنورة مطعما خيريا باسمها.[2]

ولسنان باشا أعمال كثيرة مختلفة ومتنوعة ما بين جوامع وسدود المياه وحمامات وسبل للمياه، لذلك نجد أعمال سنان في البلاد العربية كالتالي:

*مكة المكرمة: جامع ومدرسة ودار للقراء ومطعم خيري.

*القدس: جامع ومدرسة ومطعم خيري....

* دمشق: جامع ومدرسة.

ونجد في البصرة جامع أيضا من إنشاء المعماري سنان.[3] كما تنوعت المنابر في المساجد العثمانية، ففي اليمن وفي صنعاء بالضبط نجد تنوع المنابر مابين خشبية ورخامية و التي تأثرت بالمنابر التي صنعت في اسطنبول، وكذلك تشابها مع المنابر التركية الموجودة بالولايات العثمانية كالمنبر الموجود بمسجد سليمان باشا بمصر.[4]

ورغم أعمال المعماري سنان باشا في البلاد العربية إلا أنها كانت بمثابة تدريب، إضافة إلى مشاركته في الحملات العسكرية رفقة السلاطين التي أضافت لموهبته الكثير من الخبرة.[5]فقد شارك سنان في حملة إيران 1533م وقام بصنع عدة سفن رغم نقص الآليات والمواد إلا أنه نجح في صنع ثلاثة سفن في وقت قياسي.

---

[1]- خاصكي سلطان: كانت جارية من جواري السلطان سليمان وأصبحت سلطانة وزوجة له وهي روسية الأصل، للمزيد أنظر: مجهول، العمارة العامرة في بيت المقدس وأثرها في الحياة الاجتماعية، "دراسات بيت المقدس و المؤسسات الوقفية في العهد العثماني"،د ب،د س، ص81.

[2]- حرب، المرجع السابق، ص161.

[3]-نفسه، ص162.

[4]- لبدة الكبرى، **"مجلة دولية سنوية متخصصة في دراسات الأثرية"**، العدد 1، جامعة المرقب، ليبيا، 2014م، ص75.

[5]- علاوي، المرجع السابق، ص236.

إضافة إلى مشاركته في إحدى الحملات مع أسطول بربروس عام 1537م التي أتيحت له الفرصة لاستكشاف الآثار المعمارية على سواحل إيطاليا، وترقيته إلى رتبة ضابط بحري نتيجة خدماته الجليلة.[1]

ويعتبر مجمع خسرو باشا الذي ذكرناه سابقا الذي شيده سنان عام 1537م من أهم المساجد التي تجذب الاهتمام لكونه أولى الآثار المعمارية لسنان قبل تعيينه نقيبا للمعماريين.[2]

بالإضافة إلى ذلك إنشائه للعديد من الجسور التي كان لها دور في بروز موهبته في الساحة المعمارية، ومن بين هذه الجسور نجد جسر **درينا** في البوسنة الذي يحتل مكانة من الآثار العمرانية المتفوقة وحيث اكتسب هذا الجسر صفة الخلود في القلوب والأذهان وذكر حتى في الروايات.[3]

وغير ذلك في الحملة التي قادها سليمان القانوني سنة 1537م،والتي أظهر فيها المعماري سنان براعته من خلال بناء جسر، حيث كان لابد من وجود جسر لعبور الجيش ورغم أن المنطقة كانت عبارة عن مستنقع إلا أن سنان استطاع أن ينجز هذا الجسر على متن نهر **"باروت"** في مدة قصيرة لا تتجاوز 13يوما.[4]

ولقد كان للحمامات حصة كبيرة من اهتمام المعمار سنان سواءا في طوب قابي أو غيرها من الأماكن. ومن بينها نجد حمام الخزفي (**جيتلي حمام**).[5]

بعد أن أصبح المعماري سنان في منصب نقيب المعماريين سنة 1540م، كلفته السلطانة "خرم" زوجة السلطان سليمان القانوني بتشييد مجمع **"الخاصكي"** المكون من

[1]- جان ألبجونج، بصمات خالدة في التاريخ العثماني، تر: عبير الشفاوي، دط، دار النيل، القاهرة، 2015م،ص 99.
[2]- ألبجونج، المرجع السابق، ص104.
[3]- أوزتونا، المرجع السابق، ص99.
[4]- ألبجونج، المرجع السابق، ص99.
[5]- الصفصافي، المرجع السابق، ص136.

جامع ومدرسة وكتاب ومدرسة أطفال وتكية ومستشفى.وكان هذا المجمع أول عمل ينجزه سنان بصفته نقيب المعماريين ولقد حمل هذا المبنى عناصر الثقافة للعمارة العثمانية المتأصلة لدى سنان ومن ناحية أخرى احتوى على أولى لمسات سنان في العمارة الخاصة به.[1]

إضافة إلى المجمع الذي قام بتشييده المعماري سنان في اسكودار بتكليف من الأميرة مهرماه ابنة السلطان سليمان القانوني سنة 1543م، والذي كان يضم هذا المجمع دار للقرآن ومدرسة، ومكتب للصبيان ودار لتقديم الطعام للأطفال،[2] وتكية وحمام ودار للمسنين، ولم يتبقى منه إلى الآن إلا الجامع والمدرسة فقط.[3]

نلاحظ أن المعماري سنان باشا شخصية من الشخصيات المهمة التي صنعت العظمة للتاريخ العثماني، وطموحه من صغره الذي أهله للقيام بخطوات أولية لفتح باب الشهرة والإبداع، و ذلك من خلال تقلده عدة مراتب في الوظائف الإدارية و العسكرية، وصولا إلى إنشاء مدرسته الإبداعية للفن والعمارة التي شاع صيتها في أرجاء الدولة العثمانية وكذا العالم الإسلامي، حيث أصبحت هذه المدرسة القاعدة الأساسية للعمارة العثمانية نتيجة للأفكار والخطط البارعة التي جاء بها سنان والتي تعكس مدى عبقريته ودهاء هذا المهندس، بالإضافة إلى ذلك انتشار بصماته المعمارية حتى في الأرجاء العربية حيث نقل بعض مبادئ مدرسته الفنية هناك. إضافة إلى مساهماته في الأعمال الخيرية في جميع المناطق، هذه المساهمة التي زادت من شهرته ومنحته مكانة تتسم بالإبداع و الإنسانية، وبالرغم ما ذكرناه من إنجازات ومنشآت إلا أنها كانت عبارة عن مرحلة أولية يخطوها هذا المعماري المبدع أخذ منها الخبرة والتجربة مما جعله ينشىء إنجازات أخرى تعبر عن مدى عظمة وعبقرية هذا المهندس والتي سنتعرف عليها لاحقا.

[1]- ألبجونج، المرجع السابق، ص104.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص240.
[3]- ألبجونج، المرجع السابق، ص104.

المبحث الثالث: أعظم إنجازات سنان

المطلب الأول: مسجد الشهزاده(1544-1548م)

المطلب الثاني: مسجد السليمانية(1550-1557م)

المطلب الثالث: مسجد السليمية(1568-1574م)

1/ مسجد الشهزاده(1544-1548م):

كانت الأعمال المعمارية التي قام بها المعماري سنان باشا والمتمثلة في البيوت، مساجد، مطاعم، قصور وغيرها، بمثابة تدريب له حيث صقلت موهبته وأضافت له الكثير لذا فإن أعماله اللاحقة كانت أكثر نضجا وتطورا.

فقد مر المهندس سنان باشا في تطوره المعماري بثلاث مراحل كل منها يتمثل في مبنى من مبانيه، حيث قال أن الأول يمثل صبيا يتعلم، والثاني معماريا متمكنا، والثالث أستاذا، أما المبنى الأول فهو مسجد الشاه زادة في اسطنبول من 1544م إلى 1548م والذي سار فيه على نسق جامع المحمدية[1]، والثاني هو جامع السليمانية وهو أيضا في اسطنبول بني ما بين سنتي 1550م و1557م والذي يرتد فيه إلى أصول أيا صوفيا ويتقنها إتقانا كاملا، أما الثالث فهو عمله الأكمل في مسجد السليمية في أدرنة من عام 1568م إلى 1574م[2].

ويصف المعماري سنان عمارة مسجد شاه زاده(انظر الشكل(1)ص105) بأنه وليد تجربته الأساسية في الولوج بطريق تصميمي خاص به في تعامله مع الفضاءات المقببة[3]، لأن أكثر سمة تلفت الانتباه في جامع "شاه زاده" أنه من طراز القباب الدائرية التي يكمل بعضها البعض والتي لم تعرف في الآثار العثمانية القديمة إلى أن جاء سنان وطور فن العمارة والبناء[4]. حيث مثل هذا المسجد المرحلة الأولى في تطور عمله المعماري.[5]

---

[1]- جامع المحمدية:أنشاه المعمار سنان الدين فيما بين (1462-1470م)،قطر قبته26 مترا، وهو الأساس الذي قامت عليه جامعة الفاتح التي تكونت من 16 مدرسة ودار للشفاء و استراحة وحمام.للمزيد انظر:الصفصافي،المرجع السابق،ص،103.

[2]- أمال عربيد ، معماري الإمبراطورية العثمانية معمار سنان: إبداع للماضي والحاضر، **"مجلة الكويت"**، العدد 361، دب، 19سبيتمبر 2013م، ص200.

[3]-نفسه، ص201.

[4]-ألبجونج، المرجع السابق، ص105.

[5]- علاوي، المرجع السابق، ص241.

بنى المعماري سنان جامع شاه زاده وكليته بين عامي 1544م و1548م وعندما انتهى من بنائه كان قد بلغ من العمر 58عاما. وتقرر بناء الجامع على ربوة وسط قطعة أرض منبسطة تحاذي الخليج من الحدود الغربية ل" اسكي سراي" حتى الحدود الغربية لشبه الجزيرة ، أمام حي "اسكي أودهلر"[1]، هذا الموقع الجغرافي المتميز بين مسجدي " أيا صوفيا" والفاتح أضفى جمالا بارعا ورونقا خاصا لهذا الجامع[2].

كان أول عمل كبير من بين أعماله الكبيرة[3]،وقد عمد المعماري سنان في تنفيذه لهذا المشروع إلى أسلوب جديد بالكامل جعله يقيم منشآت معمارية ضخمة رائعة بأسلوب خاص به هو، بالإضافة إلى ذلك كان بناء هذا المسجد بتكليف من السلطان سليمان القانوني في تخليد الذكرى ولده الأكبر وأثيره شاه زاده محمد[4] من السلطانة خرم الذي توفي شابا[5]. عن عمر يناهز الواحد والعشرين سنة في مغنيسة[6].

بدأ العمل بمسجد شاه زاده عام 1544م، واستغرق العمل فيه 4سنوات[7] ويعتبر هذا المسجد متواضعا نسبيا حيث لا يزيد قطر قبته[8] عن 19متر[9]ا، وارتفاعها 37متر، بما يشكل تراجعا عن قطر قبة مسجد سليم الأول[10]، وهناك أربع من أنصاف قبة على كل جدار من القبة الأساسية مما أعطى الجامع حجما أكبر، وتم توسيع هذه الأنصاف للقباب بإضافة نصف قبة صغيرة إلى كل منها.[11]

---

[1]- أسكي أودهلر: هي الساحة الممتدة أمام جامع "شاه زاده باشا" من بناية بلدية "بيوك شهر" حتى حمام " عجم أغلو"، وكانت تتواجد في تلك الساحة الثكنات التابعة للإنكشارية.للمزيد انظر:ألبيجونج ،المرجع السابق،ص106.

[2]-نفسه، ص105.

[3]- طوباش، المرجع السابق، ص442.

[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص107.

[5]- أغلي، المرجع السابق، ص704.

[6]-الصفصافي، المرجع السابق، ص108.

[7]- نفسه، ص107.

[8]-القبة:هي نوع من الأقبية التي تستخدم للتسقيف،وهي بأبسط أشكالها عبارة عن نصف كرة مجوفة تقف على أعمدة أو جدران وتعتبر عنصرا من عناصر العمارة الإسلامية.للمزيد انظر : https://ar.m.wikipedia.org:

[9]- موسوس وسحاب، المرجع السابق، ص43.

[10]- مانتران، المرجع السابق، ص383.

[11]- حرب، المرجع السابق، ص163.

وللتخفيف من جهود كتلة البناء من الخارج عمد إلى تغطية رؤوس دعائم القباب الأربعة الخارجية بقباب مضلعة على هيئة أبراج عوضا عن بناء أبراج صغيرة حول القبة[1]، بالإضافة إلى نصف برج موجود في الزوايا التي تقترب فيها أنصاف القباب بعضها إلى بعض، وهذه الأبراج وإن كانت شكلا جماليا هاما إلا أن من وظيفتها أن تمنع انفراج[2] الأقواس[3].

والجامع مكون من ثلاثة أجزاء: الصحن الخارجي، والصحن الداخلي، والحرم، فالصحن الخارجي ذو خمسة مداخل واحد منها في الواجهة، أما الصحن الداخلي فيحيط به أروقة مغطاة بستة عشر قبة، والأعمدة التي ترتكز عليها الأروقة من الرخام الصوماقي. وفي وسط هذا الصحن ميضأة ذات ثماني زوايا.[4]

أما الشادروان[5]، وبوائك الصحن[6]، المحيطة به وقبابها الست عشر، وأعمدة البوائك[7]ألاثني عشر، فقد كونت كلها توليفة لا تقل في تناسقها وانسجامها عن تناسق وانسجام المسجد. وكلها معا تكون منظور معماري قوي التأثير. وغير ذلك تحويل الممرات من داخل المسجد إلى خارجه، أضفى على الداخل مزيدا من الترابط والتلاحم والروحانية[8].

وللمسجد مئذنتان عند ركنيه المجاوران للصحن، ولكل مئذنة مطافان للمؤذن وترتفع الواحدة بمقدار 41.50 مترا[9]، وتؤدي الرشاقة التي لا نظير لها حتى الآن للمئذنتين

---

[1]- عربيد، المرجع السابق، ص203.

[2]- حرب، المرجع السابق، ص163.

[3]-الأقواس:القوس في الهندسة هو قطعة او جزء من محيط الدائرة، ومعنى قوس البناء جعل فيه اقواسا.للمزيد انظر:المعاني،اقواس،7-9-2020سا:11.30, www.almaany.com

[4]-حرب، المرجع السابق، ص164.

[5]-الشادروان:ويقال الشاذروان بالذال المعجمة،ويعني هذا المصطلح في العمارة افريز وهو مايبنى اعلى الحائط على شكل منصة.للمزيد انظر:hawraamani.com .arbiclexicom,الشادروان, the arabiclexicon

[6]- الصحن:صحن المسجد وهي ساحة وسط المسجد ،صحن الدار.للمزيد انظر:المعاني،الصحن،7-9-2020،سا:11.30،www.almaany.com

[7]- بوائك:مفردها بائكة هذا اللفظ يستعمل بشكل أساسي في العمارة الدينية وعلى وجه التحديد في عمارة المساجد،وهي مجموعة من الأعمدة المتتابعة على خط مستقيم والموصولة في أعلاها بأقواس تحمل السقف.للمزيدانظر:الجزائرية،بوائك المسجد الأقصى ..معالم تحصن قبة الصخرة،7-9-2020سا:11.28،WWW .Aljazeera .net

[8]- الصفصافي، المرجع السابق، ص107.

[9]-نفسه، ص108.

بشرفتين، والنوافذ العديدة والأروقة الجانبية الطويلة التي تشكل زخرفة زاهية[1]، فقد أعطى الفنان المعماري قدرا كبيرا من الزخرفة، والتفاصيل المعمارية للمآذن[2]، إلى الحيلولة دون أن يصبح هذا الأثر المعماري الصلب ثقيل الوقع.[3]

بالإضافة إلى ذلك ظهور حوائط المسجد من الخارج وكأنها هرم مدرج[4]، وذلك لاعتماده لنهج التغطية بقبة مستندة على نصفي قبتين، مما يعطي في الواقع شكل هرمي، ونجد أن سنان باشا تخلى عن التخطيط المتمحور على مركز ذي أنصاف القباب الأربعة، لأنه رأى أن القبة المركزية المدعومة من أركانها الأربعة تفقد بروزها.[5]

إن هذا التصميم المكعب يعد واحدا من الرموز الأزلية للجمال عند أفلاطون[6]، فمن الصعوبة والأهمية بمكان أن يحفر الشكل الرباعي المفصص في مربع والذي يشكل مع المربع الخارجي مربعات متعاقبة ومتناوبة في دائرة لذلك يوجد في هذا الجامع تطبيقات رئيسية من النظرية الفيثاغورسية بكل إيمائتها الفلسفية والسحرية.[7]

وعلى الرغم من الإشارة إلى أن جامع شاه زاده بني على غرار جامع السلطان بيازيد، فإن هناك إضافات جديدة لسنان تتمثل في نسق الأبواب والنوافذ التي تضاعفت بحيث اقترنت بشكل غير مألوف في جدران دعامة الحائط وذلك من خلال زيادة سمكها وعمل فتحات منتظمة لتوسيع المسافات التي تتخللها، كما وجد أن وحدات البناء المربعة التي تسند

[1]- مانتران، المرجع السابق، ص382.
[2]-الصفصافي، المرجع السابق، ص107.
[3]-.مانتران، المرجع السابق، ص383.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص108.
[5]- موسوس وسحاب، المرجع السابق، ص43.
[6]- أفلاطون:عاش بين 427ق.م-347ق.م،فيلسوف يوناني قديم،واحد اعظم الفلاسفة الغربيين،عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن،كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل وابيغرامات.للمزيد انظر:المعرفة،افلاطون،7-9-2020،سا:11.20،m.marefa.org
[7]- علاوي، المرجع السابق، ص241.

القبة في جامع السلطان بيازيد بارزة بشكل غير ملائم، فأوجد لها سنان حلا وجعلها غير مرئية.[1]

أما المظهر الخارجي له فهو مذهل بقيته الوسطية الواقعة في قمة هرم القباب المنحدرة المتنوعة في الحجم، والشكل الهابط كشلال والمرتكز على قمة الأروقة تضفي الفخامة على واجهة المدخل الضخمة، فضلا عن شموخ المنارات الرشيقة بديكوراتها الهادئة[2].

ويضم مجمع شاه زاده إلى جانب المسجد الجامع البني على هيئة هرمية مدرجة مدرسة ودار للضيافة موزعة بتناسق بديع[3]، بالإضافة إلى مطعم خيري، ومطبخ، وكتاب للصبيان وقد كانت هذه الأبنية مرتبة في الجانب الشرقي من الفناء الخارجي[4]، والمقبرة التي تقع خارج الجامع والتي يوجد بها ضريح الأمير محمد ابن السلطان سليمان القانوني.[5]

وقد كان ضريح شاه زاده ذو شكل ثماني وقبة مزخرفة مطلية من الخارج باللونين الأبيض والوردي، وغير ذلك المنمنات والزخارف التي تتوج الضريح الثماني بالبلاط الضخم لأرضية جعلت عمل سنان واحدا من أكثر المباني أناقة وإتقانها.[6]

وقد افتتح جامع شاه زاده عام 1548م، وبلغت تكلفته خمسة عشر مليون أقجة[7]، وكان المعماري سنان يصف مدة عمله هذه بأنها مدة تدريب وتعليم وتحصيل.[8]

---

[1]-علاوي،المرجع السابق، ص242.
[2]-نفسه، ص243.
[3]-عربيد، المرجع السابق، ص300.
[4]- الصفصافي، المرجع السابق، ص107.
[5]-حرب، المرجع السابق، ص161.
[6]-علاوي، المرجع السابق، ص443.
[7]-الأقجة: هي نوع من أنواع النقود في العصر العثماني، وهي قطعة صغيرة من الفضة، ضربت لأول مرة في عهد السلطان أورخان، صبان، المرجع السابق، ص21.
[8]-ألبجوونج، المرجع السابق، ص105.

2/ مسجد السليمانية(1550-1557م):

من ثاني الأعمال الكبيرة للمعماري سنان بعد مجمع شاه زاده هو مجمع السليمانية في اسطنبول المبني ما بين سنتي 1550م و1557م.

أراد السلطان القانوني تشييد مجمع عظيم يملأ صيته العالم، فاستدعى المعماري سنان فور انتهائه من مجمع شاه زاده محمد، فسارع سنان يوم الجمعة فجاء موافقا للثالث عشر من يونيو عام 1550م، حيث حضر الحفل رجال الدولة وكان على رأسهم السلطان سليمان وجمع غفير من الناس، ووضع حجر الأساس شيخ الإسلام "أبو السعود الأفندي".[1]

أ-قصة بناء المسجد:

وتذكر الرواية في ذلك أن السلطان القانوني عندما قرر تأسيس هذا الجامع رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه، وقد أشار له الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المكان الذي سيتم بناء المسجد فيه، وقال له: ليتم وضع المحراب[2] هنا والمنبر هنا والكرسي هنا" ثم بين له الرسول صلى الله عليه وسلم بعض التعليمات الخاصة بالعناصر الداخلية والخارجية للجامع[3]، استيقظ القانوني من نومه وهو في غاية الفرح، فشكر الله تعالى وعيناه تفيضان بالدمع، وأمر باستدعاء المعماري سنان إلى المكان، وقال له: " أريد أن أبني جامعا هنا "، وبعدها تم الشروع في البناء.[4]

حيث استمد المعماري سنان الوحي في تخطيطه للجامع من مسجد آيا صوفيا، ولكنه استطاع أن يتفوق في عمله في هذا المسجد[5]، رغم أنها شغلت موقعا جغرافيا متميزا عند

---

[1]- ألبجونج، المرجع السابق، ص106.

[2]- المحراب:جمع محاريب، ورجل محراب أي صاحب حرب وشجاعة، ومحراب المجلس أو الدار صدره، ومحراب المسجد مقام الإمام.للمزيد انظر:المعاني،تعريف وشرح ومعنى محراب،7-9-2020،سا:11.24،WWW.ALMAANY.COM

[3]- طوباش، المرجع السابق، ص443.

[4]- نفسه، ص444.

[5]- مرزوق،المرجع السابق، ص45.

شبه جزيرة وجهتها نحو الشرق، إلا أنها كان لها نقاط ضعف هندسية وبنائية وعمارية لا تتفق مع موقعها الجغرافي، وفي مقابل ذلك صنع سنان منظرا مشرقا وفسيحا مستغلا الإضاءة الطبيعية بوفرة في أروقة السليمانية، فبنى مسجدا مفعما بالحياة يقدم لمن يدخله السعادة ونشوة الحياة، بخلاف آيا صوفيا فضوءها خافت معتم قليلا.

عندما زار "تشارلز ديهلCharle Diehl " العالم البيزنطي الشهير جامع السليمانية، لم يستطع أن يتمالك نفسه وقال: "عظمة فريد نوعها، ومقدرة خارقة، إن للسليمانية سحرا يفوق آيا صوفيا "[1]. بالإضافة إلى ذلك الاختلاف في طريقة الدخول حيث اقتصر على مسجد آيا صوفيا عن طريق باب واحد رئيسي، بينما اشتمل جامع السليمانية على مجموعة كبيرة من الأبواب،بحيث لا يحدث أي اختناق عند دخول أو خروج المصلين وبعكس آيا صوفيا الذي تكسوه الظلمة نهارا، والتي تتفوق السليمانية عليها في الإضاءة لاحتوائها على أربعة ألاف قنديل.[2]

ب/ مواصفات الجامع:

يعد جامع السليمانية ومجمعها اللذان بناهما المعماري سنان لسلطان القانوني من أهم عمائر حاضرة الدولة التي تعكس ثراء السلطان العريض وقدرته، كما تعكس عظمة الدولة وهيبتها، حيث احتل مكانة في الوسط يرتفع شامخا على نحو أربعمائة قبة من أحجام مختلفة لثمانية عشر بناءا تشكل المجمع، والذي يكشف بحق عن منظر رائع خلاب.[3]

[1]- ألبجونج، المرجع السابق، ص108.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص243.
[3]- أغلي، المرجع السابق، ص704.

حيث تكون المجمع من دار لإطعام الفقراء ودار للثقافة، وبيمارستان، ومدرسة للطب وحمام وكتاب للصبية، وأربع مدارس عالية، وعدد كبير من الحوانيت، بالإضافة إلى وجود مقبرة تضم ضريحين كبيرين للسلطان سليمان القانوني وزوجته روكسلانة.[1]

والجدير بالذكر أن المنشآت الملحقة بالجامع معدة لكي يستفيد منها جميع أهل المدينة بدون أجور، فقد أمن خزان كبير للمياه لتلبية حاجيات الناس، فضلا عن المدارس على اختلاف درجاتها، وعلاج متوفر للجميع في المستشفى وحتى لغير المسلمين، ثم نزل خاص بهم ويزودون بالطعام مجانا، ثم مكتبة.[2]

ولقد أفرد هذا البناء على رقعة فسيحة من الأرض، إلى شمال السراية القديمة،[3] حيث اختار سنان لبنائه ربوة تتحكم في كل الخليج الذهبي والبسفور، لأنه أنشأ هذا المجمع على حافة التل المطل على سواحل الخليج، ويرى منه قصر طوب قابي، والبسفور، وجزء من بحر مرمرة أيضا، حيث هذا الاختيار الأمثل جعل السليمانية معلما مهما من معالم المدينة وأتاح رؤية روعتها من مناطق جدا.[4]

الجامع في كلية السليمانية هو محورها، تقوم خطته على مربع قائم مكون من مساحتين[5]، واحدة منها الصحن والأخرى الجامع نفسه[6]، الصحن على اثنين، داخلي وخارجي. أما الداخلي فبثلاثة أبواب، واحد في الواجهة الرئيسية في الوسط، والاثنان الآخران في الواجهتين الجانبيتين، والباب الأوسط تذكاري في أعلاه تاج، وهذا الباب يعد في حد ذاته أثرا معماريا مستقلا بفنيته ونقوشه وتزيينه[7].

[1]- علاوي، المرجع السابق، ص242.
[2]- نفسه، ص243.
[3]- بروكلمان، المرجع السابق، ص455.
[4]- ألبجونج، المرجع السابق، ص106.
[5]- حرب، المرجع السابق، ص163.
[6]- علاوي، المرجع السابق، ص242.
[7]- حرب، المرجع السابق، ص164.

أما أرض الصحن الداخلي في جامع السليمانية فهي مفرشة بالرخام، تحيط به أروقة ذات 28قبة و28 قوسا ترتكز على مجموعة من الأعمدة الجرانية والرخامية. وأهم التزيينات في قسم الصحن هو الحليات الخزفية الموجودة على عشر نوافذ من مكان الجماعة المتأخرة، كما يعد هذا الخزف أجمال نماذج الخزف في القرن 16م.[1]

أما عن مآذن الجامع فهي أربع كل منها في زاوية لأنها نهضت فوق زوايا الصحن الأمامي[2]، الاثنتان الموجودتان في الواجهة الأمامية قصيرتان نسبيا، وفي كل واحد منها شرفتان والأخريان في الجانب الآخر أكثرا طولا وفي كل منها ثلاث شرفات، وعدد المنارات يرمز إلى أن سليمان القانوني هو رابع السلاطين العثمانيين منذ فتح القسطنطينية، أما الشرفات العشر التي هي مجموع ما في المآذن الأربع فترمز إلى أن السلطان سليمان القانوني عاشر سلاطين آل عثمان منذ تأسيس الدولة العثمانية.[3]

أما البناء الرئيسي ذو البلاطات الثلاث فتتوجه قبة فخمة تقوم على أربع أساطين مربعة، وهي أعلى من قبة آيا صوفيا بخمسة أمتار[4]، لأن سنان استخدم في بنائه نظام القبة الوسطى التي تفتح على الجانبين بزوج من القباب الإضافية، وتوسعت بأنصاف القباب، وبلغ ارتفاع القبة الوسطى من الأرض 53 مترا وقطرها 28 مترا، وكانت تغطي مساحة الجزء الداخلي من الجامع.[5]

وبهذا قد وطد المعماري سنان في هذا الجامع، الذي لا مثيل له، الأصالة والسكون متداخلا، وأظهر أسلوبا متناغما وبسيطا، وقد نجح في إعطاء شكل متناغم ومتكامل للقبة المركزية وما حولها من قباب، حيث أن البناء يرتفع تدريجيا من الأرض، وينغلق في النهاية

[1]- حرب،المرجع السابق، ص164.
[2]- بروكلمان، المرجع السابق، ص455.
[3]- علاوي، المرجع السابق،ص243.
[4]- بروكلمان، المرجع السابق، ص455.
[5]- علاوي، المرجع السابق، ص244.

على بناء واحد عظيم، أما المزيج بين القبة المركزية وأنصاف القباب وأرباعها، فيعطي نموذجا عظيما على (الكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة) الموجودة في التصوف.[1]

وتبين أسس جامع السليمانية فخامة كبيرة بقدر كل العناصر الأخرى الموجودة في الجامع، فالأسس في الجامع على شكل نظام الشبكة التي يمكن السير فيها، وتسير المياه من تلك الطرق إلى الخزانات التي توزع المياه على كل مشتملات المسجد، وفي الأقسام الوسطى للجامع منافذ ذات أغطية خشبية على تلك المجاري المائية، فأمن المعمار سنان بذلك نظام التكييف أي التبريد والتدفئة للجامع، كما أن هذا الشكل للأساسات يعمل على تامين الجامع ضد الزلازل.[2]

ولقد اهتم المعماري سنان بهذا الجامع اهتماما كبيرا، خاصة من ناحية مواد البناء المستعملة والزخرفة، أما من الناحية الأولى، فقد أتى المعماري سنان بالأعمدة الأربعة الكبيرة المطلوبة للجامع من "الإسكندرية" ثم "بعليك"، ثم "سراي العامرة "ثم "قيزطاشي". أما الرخام الأبيض الذي استخدم في البناء فكان من الأبانوس، والحوائط من خزف "إزنيك"[3].

أما بالنسبة للناحية الثانية وهي الزخرفة، فقد استعان المعماري سنان بأشهر النقاشين على الرخام و الخطاطين، فقد عهد بزخرفة شبابيك جدار القبلة والنوافذ الملونة البديعة بالجامع إلى الفنان إبراهيم المشهور بلقب "سرخوش" والذي استطاع أن يجعل من هذه الشبابيك قطعا فنية رائعة.[4]

وفيما يتعلق بخطوط جامع السليمانية، فقد عهد بها المعماري سنان إلى أشهر خطاطي عصره وهو الخطاط حسن أفندي حلبي القره حصاري، وقد كان تلميذ وعبد رقيق

[1]- طوباش، المرجع السابق، ص445.
[2]-نفسه، ص450.
[3]-نفسه، ص444.
[4]- مرزوق، المرجع السابق، ص45.

لأستاذه الخطاط العظيم أحمد بن قرة الذي أعتقه وتبناه[1]، حيث كتب الخطوط الشريفة الموجودة بقبة الجامع، أظهر فيها عناية كبيرة بحسن الخط وهو ما كان قطعة من عظمة البناء. ويقال أنه حتى فقد بصره مع آخر حرف كتبه في القبة، وبعد تصحيح آخر حرف من الحروف التي كتبت على جدران وقباب الجامع.[2]

بالإضافة إلى ذلك فقد اعتنى المعماري سنان بخارج المبنى اعتناءه بالداخل حيث كان يتميز خارج المبنى بالتنوع مما يعطي شعورا قويا بالوحدة والانسجام، بحيث لا يمكن تغيير أي جزء من مكانه دون إحداث تشويه واضح، وقد أقيم هذا البناء الضخم على مساحة من الأرض تبلغ 60 دونما (الدونم يعادل ألف متر مربع) على شكل مستطيل، أما تكلفة البناء فقد كانت 35 مليون آقجة.[3]

ج/ افتتاح الجامع:

بسبب طول فترى إنشاء الجامع، أدى ذلك إلى ظهور تيار ضد المعماري سنان باشا، وظهرت شائعات غير لائقة به، منها انه يستخف بالعمل، ويقضي أيامه فارغا، وأنه جن عشقا، حتى وصلت هذه الشائعات إلى مسامع السلطان، واستدعائه له بعدها، قائلا له:" لماذا لا تهتم ببناء جامعي، وتشغل أوقاتك بأشياء غير مهمة؟ ألا يكفيك معمار جدي السلطان محمد خان نموذجا أمامك (يذكره بالمعماري الرومي أسبيلانتي أفندي الذي أمر الفاتح بقطع يده لأنه قطع أحد الأعمدة)، أخبرني بسرعة متى يكتمل هذا البناء، وإلا فإنك تدري)، فقال سنان: ولأنني رأيت الغضب الشديد على وجه السلطان تلعثمت، وفي النهاية بقدرة الله جرى هذا الكلام بلا تردد على لساني:

[1]- حرب، المرجع السابق، ص163.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص244.
[3]- طوباش، المرجع السابق، ص445.

<< يكتمل هذا البناء خلال شهرين إن شاء الله تعالى يا سعادة السلطان>>. << وحين أعاد السلطان السؤال، ردد الأغوات: معمار آغا، هل تسمع ما يقوله سعادة السلطان؟ متى يكون هذا البناء في وضعية يمكن عندها إغلاق بابه؟>>.[1]

قلت لهم: <<خلال شهرين كاملين يكتمل بناء هذا البناء >>. وأشهد السلطان الأغوات الحاضرين على ذلك: يا معمار إن لم ينته البناء خلال شهرين فسوف تتحاسب.[2]

لما اكتمل بناء القبة العظيمة للجامع المبارك وأروقته، نقش كبير الخطاطين حسن قرة حصاري على قبته الشبيهة بالسماء آية: << إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا>>[3]، بخط غاية في الإحكام والجمال، ونقش خطوطا فريدة على أبواب حق لها أن تكون أبوابا للفردوس.[4]

يصف المعماري سنان افتتاح جامع السليمانية في كتابه " تذكرة البنيان " قائلا: << غادر السلطان قصره يوم الجمعة الخامس عشر من أكتوبر عام 1557م، وطلت طلعته البهية، فسلمته بيده النبيلة الميمونة مفاتيح الجامع المبارك وأنا أبتهل على الله، دعوت وأسبلت يدي احتراما، وانتظرت، فالتفت صاحب السعادة إلى "أوضة باشي"[5]، فورا وقال: من الأول والأحق بفتح باب الجامع؟ فأجاب مدير المراسم: مولاي السلطان، خادمكم "سنان " شيخ جليل، وقد بذل في هذا الأمر أقصى الجهد، كأنه "لقمان الحكيم" في همته.

فقال مولانا السلطان: أخي العزيز، أقبل، فمن الأفضل أن تفتح أنت بيت الله بالإخلاص والدعاء والتضرع إليه.[6]

---

[1]- بهادر أغلو، المرجع السابق، ص369.
[2]- نفسه، ص370.
[3]-القرءان الكريم،سورة فاطر، الآية 35.
[4]ألبجونج، المرجع السابق، ص106.
[5]- أوضة باشي: ضابط في تشكيل الإنكشارية، كانت وظيفته تنظيم وتوجيه المراسم الاحتفالية في المواكب. للمزيد أنظر: ألبجونج، المرجع السابق، ص107.
[6]-نفسه ، ص107.

فالمعماري سنان بدأ في فن العمارة بعد ما تعلم التواضع، أظهر عمقا روحيا كعمقه في الظاهر بتفكره في الخطاط " قرة حصاري" الذي قدم تضحية كبيرة في كتابة الخطوط في الجامع حتى أصابه العمى في هذا السبيل وقال في أدب: " يا مولانا السلطان إن الخطاط قرة حصاري فقد بصره أثناء تزيينه الجامع بالخطوط، فامنحه هذا الشرف". على هذا أمر السلطان القانوني الخطاط قرة حصاري بأن يفتح الجامع بين دموع الحاضرين.

وبعد ما عين السلطان 275 شخصا لخدمة الجامع، وأمر بأن يأذن عشرة مؤذنين من فوق العشر شرفات في الأوقات الخمسة طوال السنين، وبذلك منحت اسطنبول ضيافة من الصوت والتناغم والرحمة.[1]

وبهذا وصل المعماري سنان بعد إتمام بناء هذا الجامع الكبير إلى قمة الشهرة والرفعة، وبعدها أصبح يلقب بالألقاب العظيمة منها: "رئيس معماري العالم"، و"مهندس العصر"، وذلك لأنه تمكن من أن يعكس روحانية العبادة على العمارة.[2](انظر الشكل(2)ص105)

[1]- طوباش، المرجع السابق، ص452.
[2]- نفسه، ص453.

3/ مسجد السليمية (1569/ 1575م)

بعد أن أسس المعماري سنان باشا جامع السليمانية قال عنه أنه أثره في مرحلة التدريب، وبعدها أسس جامع سليمية الذي اعتبره أثره في مرحلة النضج، ذلك الأثر الذي كان قمة في العبقرية المعمارية.[1]

1/ قصة وقرار وتأسيس السليمية:

كان البحر الأبيض المتوسط بمثابة بحيرة عثمانية في ذلك الوقت إلا أن جزيرة قبرص لم تفتح وذلك لأن السلطان القانوني توفي قبل فتحها، وبمرور الوقت أصبحت جزيرة قبرص مشكلة تؤرق الدولة، لاسيما وأنها كانت تهدد أمن الطريق البحري الذي يسير فيه المسلمين الذاهبون إلى مكة لأداء الحج، ولهذا قرر السلطان سليم الثاني أن يحقق هذا الفتح، حيث تجمع رجال الدولة وخرجوا بالأسطول العثماني إلى البحر، و وقتها نذر السلطان بأنه إذا يسر الله له فتح الجزيرة فإنه سيقوم ببناء جامع كبير لله.[2]

وفي النهاية يسر له الله تعالى فتح الجزيرة وأصبحت قبرص ديار للإسلام، ولكن بسبب مشاغل السلطان سليم الثاني نسي نذره، وبعد فترة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه حيث قال له: " يا سليم لقد حقق الله لك مرادك فلتكن صادق الوعد ولتقم ببناء الجامع الذي نذرته من أموال غنيمة قبرص في مدينة أدرنة"[3]

بعدها استيقظ السلطان من نومه وكان في قلبه خجل لأنه لم يحقق وعده، ومن ناحية فرح لأنه رأى رسول الله في منامه، وفي الصباح قص رؤيته على مربيه وهذا الأخير

---

[1]- طوباش، المرجع السابق، ص455.

[2]- نفسه، ص456.

[3]- أدرنة: مدينة تركية أوروبية تقع عند ملتقى نهر مريح وطونجة وكانت لعاصمة الثانية الإمبراطورية العثمانية قبل القسطنطينية. للمزيد أنظر: موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،ط1 دار ابن حزم،د ب، 2002م،ص35.

كان يستمع إليه بدقة ثم قال لسلطان متحيرا: << يا مولاي السلطان، يا لهذه الحكمة وكأنك تقص عليا الرؤيا التي رأيتها أنا ليلة أمس>>.

بعدما جمع السلطان السليم الوزراء والعلماء وأركان الدولة وأخبرهم بأنه قرر بناء جامع كبير في أدرنة بناءا على رؤية رسول الله، ثم طلب من سنان باشا بناء جامع لا مثيل له في العالم كله.[1]وبعد طلب السلطان رد سنان عليه قائلا: << يا مولاي السلطان، طالما أن الرسول صلى الله عليه وسلم اهتم بأمر بناء هذا الجامع، فإن الجامع سيكون باقيا بإذن الله ما دامت الدنيا باقية.>>.[2]

2/ مواصفات مسجد السليمية:

يعتبر مسجد السليمية عمل لا نظير له فهو ثمرة حياة ذات جهود متقدمة من الإتقان والبراعة، وخلافا لما جرت عليه العادة فإن هذا المسجد غير مصحوب بكلية أو مجمع كما هو الحال لمسجد السليمانية، فالملحقان الوحيدان له في الأصل مدرستين صغيرتين تقعان خلف قاعة الصلاة، وبعدها تم إنشاء مباني بسيطة من طرف تلميذ سنان دون الإساءة بالشكل والتكوين العام للمسجد.[3]

-عند النظر إلى مكان اختيار السليمية ندرك أن سنان لم يكن معمارا فحسب بل في الوقت نفسه كان ماهرا متخصصا في تخطيط المدن.

-وكان المعماري سنان يطلق على السليمية " أثري الاحترافي" إذا كان يعد السليمية أكثر الأعمال مثالية.[4]

[1]- طوباش، المرجع السابق، ص456.
[2]- نفسه، ص457.
[3]-مانتران، المرجع السابق، ص ص385، 386.
[4]- ألبجونج، المرجع السابق، ص117.

بناء جامع السليمية أعلى ربوة في أدرنة[1]، ومثلما ذكرنا سابقا أن هذا المسجد لم يطلق عليه في البداية اسم مجمع لأنه اقتصر على وجود مدرستين فقط، لكن بالنظر إلى المباني والملحقات التي أنشأت له من دار القراء ومستشفى وسوق مسقف من طرف تلاميذ سنان، نستنتج أنه لم يكن جامعا فقط بل كان مجمعا ليس بصورة التي كان عليها مجمع السليمانية، لان وجود هذه الملحقات بالجامع تجعلنا نطلق عليه اسم مجمع.[2]

يضم الجامع قبة عظيمة تقف وكأنها معلقة فوق وحدات كروية ومستوية تفتح على الخارج بنوافذ متعددة وتحيط بها أبراج صغيرة، كما نرى أربع مآذن رشيقة تحيط بتلك الكتلة وتزيد أكثر وأكثر من هيبة وعظمة المسجد[3]،دون اللجوء إلى أنصاف القباب التي استخدمها من قبل في مسجد السليمانية وشهزاده.[4]

وبالنسبة لمآذن المسجد ترتفع كل منها إلى 71.81 مترا وهي دقيقة ونحيلة، تقع كل منهما في زاوية من زوايا الجامع الأربع، وكل منها ذات شرفات ثلاث، بالنسبة للمئذنتين الواقعتان ناحية الباب الرئيس يتم الصعود إلى شرفات كل منهما على حده، عن طريق ثلاثة سلالم مستقلة عن بعضها، أما المئذنتان الأخريان، فلكل منهما سلم واحد.[5]

-كما أن قبة المسجد لا تزال تعد لحد الآن واحدة من أضخم القباب في العالم وذلك لبساطة التصميم الذي سمح بتناسق البناء الخارجي.

وبالنسبة لمنبر المسجد فهو منحوت من قطعة حجرية واحدة يتفوق من حيث حجمه ورونقه وبراعته على جميع المنابر التي صنعت على نسقه، كما أن الجدران المحيطة بالمحراب وخلفية المنبر وشراعات النوافذ كل هذه تغطيها البلاطات الخزفية ذات الزخارف

[1]- حرب، المرجع السابق، ص165.
[2]- علاوي، المرجع السابق، ص244.
[3]-أغلي، المرجع السابق، ص712.
[4]-حرب، المرجع السابق، ص166.
[5]- نفسه، ص166.

الرائعة، وتعتبر الحشوات الخزفية الكبيرة الموجودة بحائط المحراب من الروائع المبهرة من حيث التصميم وجمال اللون ودقة التكوين.[1]

ومن عجائب هذه المآذن أنها ليست سميكة بل تبدوا كالعلم، كما أن ارتفاع هذه المآذن بهذا الطول إلى السماء يدل على عبقرية سنان لدرجة أن بعض المعماريين لم يفهموا القصد من ارتفاع تلك المآذن فسألوا سنان عن السبب فرد قائلا: "إن هذه الأراضي لن يدخلها العدو، وحتى ولو دخلها فإنه لن يبقى فيها لأن تلك المآذن ستصرخ إلى العرش قائلة بأن هذا البلد مسلم تحت حكم الأتراك".

-كما أن جامع السليمية هو الجامع الوحيد في تاريخ العمارة صاحب تلك القبة الواسعة للغاية والمنخفضة في الوقت نفسه، إضافة إلى اختلافه عن بقية الآثار الموجودة في العالم كله من حيث الارتفاع وانتظام الضوء وسعة المكان.[2]

-وقد شيد المعماري سنان هذا الجامع على مخطط مستطيل كما هو الحال في العمائر الهامة التي شيدها قبل ذلك[3]، واعتمد على خطة أساسية تختلف عن الجامعين السابقين بحيث استخدم الشكل المثمن والزوايا والأضلاع الذي أدى بدوره إلى تقليص الجدران للسماح للضوء بالدخول.[4]

ويتضح من كل آثار المعماري سنان بأنه اتبع في كل بناء شيده طرازا جديدا أكسب العمارة التركية على يده معنى جديدا، مبينا الفرق بين كل أنواع العمارة في العالم خاصة في أسلوب بناء القبة، وبالرغم من حرص سنان على هذه القبة إلا أنه زاد على ذلك في جامع السليمية، حيث عمد إلى أن تصل القبة لدرجة أكبر بكثير من سابقاتها.[5]

[1]- علاوي، المرجع السابق، ص245.
[2]- طوباش، المرجع السابق، ص459.
[3]- مانتران، المرجع السابق، ص713.
[4]- علاوي، المرجع السابق، ص244.
[5]- طوباش، المرجع السابق، ص ص 459،460.

حيث قال سنان:<< كان المعماريون الغربيون يفتخرون قائلين: لنا الغلبة على المسلمين، فلم تبنى قبة في الدولة الإسلامية مثل قبة آيا صوفيا، وكانوا يزعمون أن من الصعوبة البالغة إقامة قبة كبيرة بهذه الدرجة ويقولون: << ولو كان بإمكانهم عمل مثلها لفعلوا هذا من قبل>>. كانت هذه الكلمات تؤلمني كثيرا، وبفضل الله استطعت في عهد السلطان سليم الثاني تشييد تلك القبة العظيمة أعلى من قبة آيا صوفيا بست أذرع، ما محيطها فأوسع بأربع أذرع.>>.[1]

وقد وضع المعمار سنان عبقريته في تأسيس هذا المسجد فالذي يدخل إلى أدرنة أول مكان يراه هو الجامع بفخامته وعظمته.[2]

غرس ثلاثمائة ألف فصيلة من الورد:

في الشهور التي شارف فيها بناء المسجد على الانتهاء، أنشأ المعماري سنان ما بين عشرة إلى خمس عشرة نزلا في مدينة أدرنة، حتى يكتمل المنظر العام للمدينة، علاوة على أنه جلب ثلاثمائة ألف فصيلة من الورد لزرعها حول الجامع، وجلب مائتي ألف فصيلة من زهور النادرة وغرسها في فناء الجامع[3]، إضافة إلى استخدام الزهور الملونة للمتزينين مثل القرنفل والبنفسج والخزامى والسنبل.[4]

وبعد أن قام المعماري سنان ببناء مسجد السليمية اشتهر "بممدوح العالم بالمعمار الفريد سنان آغا".خاصة بعد توظيف رموز، ومثال ذلك قول الرحالة أوليا جلبي قائلا: << إن المسجد يشمل على أربع مآذن كل مئذنة لها ثلاث شرفات تكون اثني عشر طابقا وهي إشارة إلى كون السلطان سليم الثاني هو السلطان الثاني عشر>>.

[1]- ألبجونج، المرجع السابق، ص116.
[2]- طوباش، المرجع السابق، ص458.
[3]- ألبجونج، المرجع السابق، ص ص104 ،117.
[4]- طوباش، المرجع السابق، ص458.

ولم يكرر المعماري سنان تصميماته السابقة ولم يقلد غيره، وأصبح بميزته تلك باحثا مبتكرا يسعى في كل أثره إلى تحقيق التفوق على سابقه.[1]

3/ بعض النماذج التي قيلت عن جامع السليمية:

-<<لا أصدق أن هذا العمل من صنع البشر>>(محقق أوروبي).

-<<ولو تتقلب تلك القبة الضخمة وتمتلئ بالذهب، فإن يمكن للعمارة والقرن العشرين أن نضع مثل هذا الجامع من غير وجود المعماري سنان>> (الإنجليزي ألويس).

-<< إن الآثار التي على الأرض كالنجوم في السماء، وآيا صوفيا قمر أما السليمية شمس>> (اينجلبجيك الألماني).

-<< لو لم أعلم أن الأتراك هم الذين بنو هذا الجامع لقلت أن الله هو الذي بناه>>(ألكسندر البلغاري).

-<< إن الذهاب إلى القمر بالصاروخ أسهل من صنع هذا الجامع>>(مجلس العمارة الأمريكي الأعلى)[2].

-<<إن جامع السليمية أكثر قيمة من وزنه ذهبا>>(فتاة ألمانية).

-<<أنا أخجل أن أكون مدرسا لأبناء أمة بنت مثل هذا الجامع>>(معماري ألماني).

-<< إن جامع السليمية كالسلطان على كل الآثار التي على الأرض، والمعماري سنان كالسلطان على كل المعماريين >>(مدير معرض الفنون بإيطاليا.

وقد شبه الشاعر هذا الجامع الذي لا مثيل له بالطائر فقال:

[1]- ألبجونج، المرجع السابق، ص ص 104، 117.
[2]- طوباش، المرجع السابق، ص462.

قل للمسافرين في هذا الزمن

أيتها الطيور وأيتها الحمائم

لا يزعجوا هذا الطائر اللطيف

الذي حط على الهضبة

وقد حصل المعمار سنان من خلال تشييد هذا الجامع على القوة المادية والمعنوية لأنه أخرج هذا الأثر العظيم إلى حيز الوجود.[1](انظر الشكل(3)ص105)

نلاحظ أن هناك ثلاثة أعمال معمارية كبيرة مثلت أهم مراحل المعماري سنان المعمارية وتطورها,الأول وهو مسجد الشهزاده الذي استطاع سنان من خلاله التغلب على أولى مشاكل القباب،أما الثاني و هو مسجد السليمانية الذي يعد أعظم مابنى حسب رأي خبراء العمارة،والذي تفوق فيه عن قبة آيا صوفيا،أما العمل الثالث فهو جامع السليمية الذي قدم فيه سنان تصميما جديدا وجريئا احدث تحولا هاما في العمارة العثمانية الإسلامية،من خلال دراسة آيا صوفيا وتحديد نقاط الضعف الهندسية فيها والتفوق عليها تفوقا كبيرا.

[1]-طوباش، المرجع السابق، ص ص462، 463.

الخاتـــــمة

بعد هذه الدراسة لموضوع مدرسة الفن المعماري في الدولة العثمانية "سنان باشا "نموذجا، توصلنا لعدة نتائج من أبرزها:

-أن تطور العمارة العثمانية مر بعدة مراحل من قيام الدولة العثمانية حتى سقوطها طوال فترة ستة قرون،وأنها امتزجت مابين إسلامية و تركية وأوروبية.

- اهتمام واسع ودعم كبير لقته العمارة العثمانية من قبل السلاطين العثمانيين.

-تنوع العمارة العثمانية مابين دينية وثقافية، ومدنية، وعمارة عسكرية، بالإضافة إلى العمارة المائية، وقد غلبت العمارة الدينية على العمارة العثمانية بدرجة أولى.

-تميز العمارة العثمانية بخصائص ومميزات انفردت بها عن غيرها من عمائر الدول التي عاصرتها،عرفت بالضخامة والشساعة من ناحية الشكل العمراني،وتنوع الزخارف مابين نباتية وهندسية وحيوانية وخطية من الناحية الزخرفية وخاصة الخزف بكل ألوانه أنواعه.

-بروز شخصية خلال القرن السادس عشر كان لها دور كبير في وصول العمارة العثمانية إلى ذروة تطورها والمتمثلة في "المعماري سنان باشا"،والذي عاصر بدوره خمسة سلاطين.

-حصول سنان على مكانة مرموقة في الدولة العثمانية من خلال تقلده لعدة مناصب في الدولة، أهمها "كبير معماري الدولة العثمانية".

-لا يمكننا الحديث عن العمارة العثمانية دون التطرق إلى مدرسة سنان الفنية لأنها كانت بمثابة القاعدة الأولى للعمارة العثمانية ودستور معماري هام استطاع من خلالها جعل العمارة العثمانية تسير صوب التطور و الضخامة.

-استطاعت مدرسة سنان باشا أن تنشر مبادئها وأفكارها المعمارية في جميع أرجاء الدولة العثمانية وخارجها و التي استمرت إلى فترة طويلة، ويعود الفضل إلى ذلك أيضا إلى تلاميذه

الذين خطو نفس خطاه و يظهر ذلك جليا في أعمالهم المعمارية مثبتين بذلك مقولة "خير خلف لما سلف"، من بينهم داوود أغا.

-اهتمام المعماري سنان إلى جانب اهتمامه بالعمارة بالوقف الذي كان يقدم من خلاله الخدمات الاجتماعية للناس،من بينها إنشاءه للعديد من الأطعمة الخيرية،بالإضافة إلى اهتمامه ببناء الجسور.

-امتداد الإسهامات المعمارية لسنان إلى البلاد العربية والتي لازالت تشهد على عبقريته و إبداعه والتي تحمل توقيعه،خاصة في كل من مكة المكرمة،القدس،حلب،ودمشق،والتي انحصرت كلها تقريبا في المساجد و المدارس و التكايا.

-تمثلت المراحل المعمارية لسنان في ثلاثة أثار معمارية كبيرة حفرت اسمه بين عباقرة العمارة،جامع الشهزاده،جامع السليمانية،جامع السليمية.

-المرحلة الأولى تمثلت في جامع الشهزادة(1544-1548م) في اسطنبول،والذي تغلب فيه سنان عن مشكلة القباب،والذي كان على نسق جامع المحمدية،وقول سنان انه كان صبيا يتعلم في هذه المرحلة.

-المرحلة الثانية وهي جامع السليمانية(1550-1557م) باسطنبول،والذي تفوق فيه سنان عن آيا صوفيا بكل تفاصيلها،وأطلق سنان على هذه المرحلة انه كان فيها معماريا متمكنا.

-المرحلة الثالثة وهي جامع السليمية(1568-1574م) بادرنه،الذي يعد أعظم مابنى حسب رأي خبراء العمارة،ومن خلاله وصل سنان إلى القمة في عالم البناء و التشييد،وقال انه كان أستاذا فيها.

-تعددت الأعمال المعمارية لسنان حتى قدرت ب 325 عملا والتي تركزت كلها في استانبول،حتى أطلق عليه العثمانيين "أبو العمارة التركية".

-بقاء بصمته خالدة في العالم وحتى يومنا هذا من خلال أعماله المعمارية التي أدهشت العالم ككل،والتي بدورها أثبتت تفوق المدرس المعمارية العثمانية والتي لم تحققه أية مدرسة معمارية لدولة من الدول التي عاصرتها.

الملاحق

الملحق1:يمثل أنواع الأزهار التي استخدمت في الزخرفة العثمانية.



–الشكل1:زهرة اللاله



–الشكل3:زهرة القرنفل



الشكل2:زهرة الرمان



–الشكل4:زهرة الكف السبع



الشكل5:زهرة الاقحوان

-الملحق 2:صورة للمعماري سنان باشا



-الملحق3:يمثل أكبر الأعمال المعمارية للمعماري سنان باشا.



الشكل1:مسجد الشهزاده



الشكل2:مسجد السليمانية



الشكل3:مسجد السليمية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرءان الكريم.

أولا-المصادر:

أ-العربية:

-بن عبد الرحمان الخياري المدني إبراهيم،رحلة الخياري (تحفة الأدباء وسلوى الغرباء)،تح: رجاء محمود،ج1،د ط،د س.

ب- المترجمة:

-بربروس خير الدين،مذكرات خير الدين بربروس،تر:محمد دراج،ط1،شركة الأصالة لنشر والتوزيع،الجزائر،2001م.

- جلبي أوليا، سياحتنامة، تر:عليعوني،تح:عبد الوهاب غرام،تق:احمد فؤاد المتولي،ط1، دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،2016م.

-جلبي عاشق،ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية،تح:عبد الرزاق بركات،دار الهداية،القاهرة،2007م.

ثانيا-المراجع:

أ-العربية:

1-أحمد ياغي إسماعيل،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،دط،مكتبة العبيكة،الرياض،1415هـ/1995م.

2-إسماعيل علام نعمت،فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية،ط 6،دار المعارف،القاهرة،دس.

3-الأرناؤط محمد،معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر"وقفية سنان باشا"،ط1،دار الحصاد،دمشق،1993م.

4-اق كوندوزاحمد،وأوزتوكسعيد،الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضيح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية،وقف البحوث العثمانية،اسطنبول،2008م.

5-بيرقدار نجم الدين،العثمانيون حضارة وقانون،ط2،الدار العربية للموسوعات،بيروت،لبنان،2014م.

6-جواد العزاوي قيس،الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط،ط2،الدار العربية للعلوم،بيروت،لبنان،2003م.

7-حرب محمد،العثمانيون في التاريخ والحضارة،المركز المصري في الدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي،القاهرة،1994م.

8-حمد الصميديزياد،وفالح الكيلاني جمال الدين،تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث،ط1،المنظمة المعرفية للتربية والثقافة والعلوم،المغرب،2013م،

9-حامد الحسين محمود،الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة(1517-1798م)،ط1،كلية الآثار، القاهرة،1997م.

10-حسين إبراهيم،سلاطين الدولة العثمانية،ط1،دار التعليم الجامعي،الإسكندرية،2014م.

11-سهيل طقوس محمد،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،ط3،دار النفائس،بيروت،لبنان،2013م.

12-شوقي إبراهيم مكي محمد،رسائل حول الوقت،ط1،د د ن،الرياض،د س.

13-عبد العزيز فهمي عبد السلام،السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم،ط5،دار القلم،دمشق،1413هـ-1993م.

14-عبد العزيز مرزوق محمد،الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د ب،1987م.

15-فتوح محمد سعدات محمود،الفضائل النفسية والاجتماعية والقيمية لبناء الأسبلة المائية الوقفية الخيرية،ج1،ط2،الهدى لطباعة،1436هـ.

16-محمد سعيد ألبنا صوفيا،فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية،ابتراك للنشر والتوزيع،القاهرة،2006م.

17-المرسى الصفصافيأحمد،استانبول عبق التاريخ "روعة الحضارة"،ط1،دار الأفاق العربية،القاهرة،1419هـ-1999م.

18-مجهول،العمارة العامرة في بيت المقدس وأثرها في الحياة الاجتماعية،دراسات بيت المقدس والمؤسسات الوقفية في العهد العثماني،دب،دس.

ب-المترجمة:

1-ألبجونج جان،بصمات خالدة في التاريخ العثماني،تر:عبير الشناوي،د ط،دار النيل،القاهرة،2015م.

2-الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،تر:صالح سعداوي،ج3،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،اسطنبول،1999م.

3-أورتايلي ألبير،العثمانيون في ثلاث قارات،تر:عبد القادر عبدلي،مروتح:التعريب والترجمة،ط2،الدار العربية للعلوم ناشرون،د ب،2014م.

4-أورتايلي ألبار،إعادة استكشاف العثمانيين،تر:بسام شيخا،ومرتوص،ط1،الدار العربية للعلوم،بيروت،لبنان،1433هـ-2012م.

5-أوزتونا يلماز،تاريخ الدولة العثمانية،تر:عدنان محمود لسمان،م2،مؤسسة فيصل للتمويل،تركيا،1990م.

6-اينالجيك خليل،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار،تر:محمد.م.الأرناؤوط،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،2002م.

7-آبا أوقطايأصلان،فنون الترك وعمائرهم،تر:احمد محمد عيسى،مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية العثمانية،استانبول،1987م.

8-بارتولد،تاريخ الحضارة الإسلامية،تر:حمزة طاهر،ط1،مصر،2013م.

9-بروكلمان كارل،تاريخ الشعوب الإسلامية،تر:نبيه أمين فارس،ومنير البعلبكي،ط7،دار العلم للملايين،بيروت،1977م.

10-بهادر أغلو ياوز،السلطان سليمان القانوني،تر:مصطفى حمزة، وريمة كوسة،ط1،شركة دار مكتبة المعارف،بيروت، لبنان،2016م.

11-تزياقي أغلو أوقاي،السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع،تر:عبد القادر عبدلي،ط1،الدار العربية للعلوم،بيروت،2013م.

12-جب هاملتون،وبووتهارولد،المجتمع الإسلامي والغرب واثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى،تر:عبد الرحيم مصطفى،ج1،د د ن،القاهرة،1971م.

13-عزتلو يوسف بك أصاف حضرة،تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى ألان،تق:محمد زينهم محمد عزب،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة،1995م.

14-لويس بيرنارد،استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية،تع:سيد رضوان علي،ط2،الدار السعودية،الرياض،1402هـ-1972م.

15-مانتران روبر،تاريخ الدولة العثمانية،تر:عدنان محمود لسمان،م2،مؤسسة فيصل للتمويل،تركيا،1900م.

16-نفيدوفا أولغا،رحلة إلى عالم العثمانيين،تر:إسلام حمزة،ط1،سيكيرا الديتوري،هيئة متاحف قطر،ايطاليا،2010م.

17-نوري عثمان طوباش،العثمانيون رجالهم العظماء ومؤسساتهم الشامخة،تر:محمد حرب،دار الأرقم،اسطنبول،2016م.

ثالثا- المجلات والجرائد:

1-حسن عيسى الدسوقي محمد،إمكانية تكوين وحدات زخرفية مستحدثة من الخط الديواني،**"مجلة العلوم الإنسانية"**،جامعة الملك عبد العزيز،مج15،د ع،المملكة العربية السعودية،2014م.

2-حسين عطا الله شيماء،السقاطات،**"مجلة أودوكا"**،ع1،جامعة الكوفة(كلية الآثار)،العراق،2017م.

3-خير فلاحة محمد،الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد دراسة موضوعية تبين أحوال السلاطين وما كانت عليه من حضارة التزيين ثم ما تلاها من تهور العابثين،د ع،د هـ ن،د ب،2005م.

4-السيد الدغيممحمود،العمارة الإسلامية العثمانية في الدور الأول المسمى"دور بورصة"،**جريدة الحياة**،يومية،ع 16234،السبت 15 سبتمبر 2007م.

5-عربيد أمال،معماري الإمبراطورية العثمانية معمار سنان:إبداع للماضي والحاضر،**"مجلةالكويت"**،ع361،د ب،19 سبتمبر 2013م.

6-عبد العزيز الحاج علاوي نسيبة،المعمار العثماني سنان(1489-1588م)،**"مجلة جامعةتكريت للعلوم الإنسانية"**،د هـ ن،ع12،الموصل،2010م،

7-الكبرى لبدة،**"مجلة دولية سنوية متخصصة في الدراسات الأثرية"**،ع11،جامعة المرقب،ليبيا،2014م.

8-محمد عبد الرافع محمد شرف الدين شيماء،الكتابات العربية الزخرفية على المشكوات الخزفية العثمانية بأزنيك (القرن العاشر-الحادي عشر هجري/السادس عشر-السابع عشر ميلادي)،**"مجلة جامعة أم القرى بالعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية"**،ج1،ع71،جامعة عين الشمس،مصر،د س.

9-محمد خيضر الجبوري رابحة،القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م،**"مجلة جامعة كريت للعلوم الإنسانية"**،مج18،ع1،د هـ ن،د ب،د س.

10-محمد النحاس رحاب،القيم الجمالية للون الأزرق السائد على التحف الخزفية العثمانية دراسة في التراث والفنون الإسلامية،**"مجلة الآداب والعلومالاجتماعية"**،مج11، ع7،الإسكندرية،2016م.

11-مجهول،العمارة العامرة في بيت المقدس وأثرها في الحياة الاجتماعية،**"مجلة دراساتبيت المقدس والمؤسسات الوقفية في العهد العثماني"**،د هـ ن،دب،د س.

: رابعا-المذكرات والأطروحات الجامعية:

1-خميس حرفي خالد،البلاطات الخزفية في العمائر العثمانية بالوجه البحري دراسة أثرية فنية،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الآثار الإسلامية،كلية العلوم والآثار،جامعة القاهرة،مصر،2006م.

2-فرحي فتيحة،المساجد والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة زيان عاشور،الجلفة،2017-2016م.

3-موسوس نسيمة،وسحابنورة،المجتمعالاسطنبولي في القرن 10هـ/16م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية 1453-1922م،جامعة يحي فارس،المدية،2018/2019م.

خامسا-المعاجم:

1-البعلبكي منير،معجم الإعلام المورد(موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب للقدامى والمحدثين)،دار العلم للملايين،بيروت،د س.

2-حلاق حسان،وصباغ عباس،المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1999م.

3-صبان سهيل،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،تر:عبد الرزاق محمد حسن بركات،ط3،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،1421هـ/2000م.

4-موستراس،المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،ط1،دار ابن حزم،د ب،2002م.

خامسا-المواقع الالكترونية:

1-ar.m.wikipedia.org.

2-mawdoo3.com

3-islamicb.com

4-islamstory.com

5-www.almaany.com

6-www.almaany.com

7-www.aljazeera.net.

8-m.marefa.org.

الفهرس

فهرس الموضوعات

العنوان

شكروعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....03-08

المدخل التمهيدي: العمارة العثمانية وتطورها 10-21

أ- **المبحث الأول:** العمارة العثمانية 24-54

1/ المطلب الأول: التعريف بالعمارة العثمانية.....24-31

2/ المطلب الثاني: أنواعها.....32-42

3/ المطلب الثالث: خصائصها ومميزاتها.....43-54

ب- المبحث الثاني: " سنان باشا ومدرسته" 56-74

1/ المطلب الأول: حياته ونشأته.....56-63

2/ المطلب الثاني: مدرسة سنان باشا.....64-69

3/ المطلب الثالث: أوقاف سنان باشا و اسهماته في البلاد العربية.....70-74

ج- المبحث الثالث: أعظم إنجازات سنان 76-95

1/ المطلب الأول: مسجد الشهزادة(1544-1548م).....76-80

2/ المطلب الثاني: مسجد السليمانية(1550-1557م).....81-88

3/ المطلب الثالث: مسجد السليمية(1568-1574م).....89-95

خاتمة.....98-100

الملاحق.....103-105

قائمة المصادر والمراجع.....107-114

فهرس الموضوعات.....116-117